سركون بولص

إذا كنت نائماً في مركب نوح

شعر

ABU ABDO ALBAGL

منشورات الجمل

سركون بولص

إذا كنتَ نائماً في مركب نوح

شعر

منشورات الجمل

ولد سركون بولص عام ١٩٤٤، بالقرب من بحيرة الحبانية – العراق. يقيم منذ عام ١٩٦٩ في سان فرنسيسكو – الولايات الامريكية المتحدة. وقد أمضى السنوات الثلاث الاخيرة في أوربا وخصوصاً في ألمانيا، حيث حصل على عدّة منح للتفرّغ الأدبي وحيث صدر له كتابان بالألمانية: «غرفة مهجورة» (قصص، ادسيون أوربينت ١٩٩٦) و «شهود على الضفاف» (قصائد مختارة، داس آرابيشه بوخ ١٩٩٧).

صدر له: **الوصول إلى مدينة أين** (منشورات سارق النار، أثينا ١٩٨٥)، **الحياة قرب الاكروبول** (دار توبقال، الدار البيضاء ١٩٨٨)، **الأول والتالي** (منشورات الجمل، كولونيا، ١٩٩٢) و **حامل الفانوس في ليل الذئاب** (منشورات الجمل، كولونيا – بيروت ١٩٩٦).

سركون بولص: إذا كنت نائماً في مركب نوح قصائد
لوحة الغلاف: بروزات على الخشب للفنان الأسباني فرانشيسكو فاريراس

© منشورات الجمل ١٩٩٨

© *AL-KAMEL VERLAG 1998*
Postfach 600501
50685 Köln - Germany
Tel: 0221 736982 Fax: 0221 732 6763

تطلب كافة اصدارات «منشورات الجمل» من الناشر مباشرة أو من:
المركز الثقافي العربي: المغرب – الدار البيضاء ص.ب. (٤٠٠٦)
المركز الثقافي العربي: لبنان – بيروت ص.ب. (١١٣/٥١٥٨)

الى

يوسف الخال

«الأب»

في ذكراه الدائمة

والى

أدونيس

سيّد الهجرة

في أقاليم النهار

والليل

أودية الرسالة

(١٩٦٩-١٩٨٢)

رسالة

بعد أن خرجَ
الى الأرض التي ليس اليها دخولٌ
ورأى أدراجاً تقودُ الى الأرض التي أتى منها

بعد أن نجا بجلده من النار وقضى أيّاماً حالماً
بالاحتراق فيها، بعد ان سار أيّاماً
من المدينة المظلمة

في يده اليسرى الى المنيرة في اليمنى
ليحمل الرسالة من هنا الى هناك، ومن هناك
الى هنا، كانت الرسالة

هي المدينةَ التي احترقت فيها
كلماتُها النبيلة، ورأى بعينيه أدراجاً
للصعود والنزولِ، وناراً وماءً في عالمٍ يجري

ABO ABDO ALBAGL
مدونة ابو عبدو

نحو المكان حيثُ الرسالةُ التي تستيقظُ وتنامُ
وتموتُ وتحيا فيها المدينة.

صندوقٌ، عروسٌ، في الفجر، الى ميناء

عروسُكَ المهجورة تجلسُ القرفصاء
في مهرجان اللغة الصاخب، تلك الحانة الوحيدةُ في البلد
حيث يشرب الشعراءُ بالدَيْنِ، فودكا رديئةً
مع الليمون والملح والمرارة.

كلماتك اليوميّة التي تبتلعُ سيوفَها
كحاوٍ حزين أمامَ الغوغاء، مومسٌ نساومها
في زقاقٍ ضيّق آخرَ الليل بعُمْلة الحزن
والندم والخسارة؛ وللإنارة، أحشاؤها، أحشاؤها التي
تلتفُّ حول ملويّةٍ من عظام الملوك
أسهرُ تحتها مهلوساً أبياتي حتى الصباح
حتى يطرق الجنودُ بأعقاب بنادقهم على بابي.

النبيّ يهذي في حرّائه لأنبل العناكب
في سلطانها الهشّ على التراب، وتحت رأس الضحيّة
الذي ينوصُ كمصباح المؤرّخ

في برج بابل رأسي، مدينةٌ لم أرها
تظهرُ أحياناً سرابيّة الزوايا
فيها بيتٌ مهدّمٌ على بابه امرأةٌ تبكي.

هذه الكلمةُ، هي تلكَ التي
تلك التي لم تكن أبداً هذهِ: غداً، أو اليوم.

والكلمةُ أيضاً
نبعٌ سحيقٌ في مئانة الشيطان
صندوقُ عروسٍ تهربُ في الفجر الى ميناء.

صندوقٌ، عروسٌ، في الفجر، الى ميناء
والغبيّ الذي لا يفهم أنها العاصفة يخرجُ واثقاً ليرفع
مرساةَ يقيني.

أردتَ أن تعرف
أيّةُ ايماءة جرّتني وراءها
منذ البداية، أيّ نهرٍ فيه سبحتُ،
كم مرّةً غرقتُ، أيّ قدمٍ دخلت مجال الإصابة. .

أيّ خطرٍ أعمى يهاجمُ باتّجاه نغمة
تنطلق عفواً من فم السائر في أزقّة ليليّة
اختارت قدميه وحدهما
لتسبُراها.

ومن أجل أن أُجيب
جواباً ثابتاً على مَرماه كحجر الرَّجْم
كان عليّ أن أعبر ساهماً في المناطق المالحة

في دساكرَ مقهورة بالسيف والكتاب
حيث يختفي كلٌّ من تجرّأ بحكمة الأطفال والبهاليل
أن يفتح الهديّة المحرّمة.

الريحُ تفقد طريقها
في مدن الموصوف المستحيلةِ عن قصد
كأنني دخلتُ خليّةَ نملٍ بحجم نيويورك
أو وضعتُ يدي في جدولِ ماءٍ حفرتْ سطحَه الأخاديد
حالما مشّطتهُ بأصابعي الخمسة.

مثلاً هذه العقبة، كأن تشفى
وتستيقظ على مخدّةٍ حجريّة بعيداً عن وصولك
النقطة التي تضيء وتنطفيء، كعين حيوانٍ ليليّ
يفكر بالمطاردين. .

تظهرُ في هيئة، مكانٍ، في ساحةٍ
لها حشدُها الملثَّم وأنت على وشكٍ ان تعانقَ ما
يمرُّبكَ، وتمضي.

مثلاً هذا الغدُ المُصْلَتُ مثل سيف
على رأس الضيف الذي يعبر باب الجحيم
حاملاً على ظهره مطبعةً، صنماً هاذياً، امرأةً
بين ساقيها شلاّلٌ متجمّد
لن يسيل إلا اذا جلدها الشيطان!

لأنّك إمّا لم تُجب على الرسالة
أو لم تذهب الى أيّ بلد. لكنّك وصلتَ الى المكان.

قارب الى ألكتراز

الى إيتيل عدنان
التي أرتني ألكتراز لأول مرة

(الكتراز جزيرة هندية صغيرة في خليج سان فرانسيسكو أحيلت الى سجن مشهور بمناعته، وقد حاول عدد من الهنود الامريكان بقيادة الزعيم دينيس بانكس في سنة ١٩٦٩، ان يستوطنوها، بعد اغلاق السجن، كملك شرعي للأمّة الهندية، حيث يمكنهم أن يعيشوا كما يريدون طبقاً للشعائر الاصيلة التي يؤمنون بها. لكن الحكومة الامريكية طردتهم بالقوة).

في الساعة الثانية ليلاً أعود مع امرأة هندية من
المدينة الى منطقة الخليج، ننتظرُ القارب الذاهب الى ألكتراز
وهو آخر القوارب. الهندية التي اسمها فالو
ننتظر آخر قارب —
قال البارمان الأبيض بلهجةِ
مراهنٍ مُدمن: أراهن انك لن تلحق بالقارب!
وأضاف باسف كاذب، آمل ان تلحق به، على أيّة حال...
جلست فالو في الرمل وجلستُ في الرمل، مع فالو
وأمامنا الكتراز في الماء

جزيرةٌ كالإبهام
في يد هنديّة أكلتْ أصابعها الكلاب.
قالتْ عاهرةٌ كانت تعلن بإصرار
أنها من مارسيليا، مجدها الميّت:
أراك قريباً مون شير!
وتركت عينها المؤرقة كالرُتيلاء
ترعى على سراويلي وأنا اخرج مع فالو. في الرمل في الرمل مع فالو
وكيف رسمت لي في ضوء البار الفوسفوري
صورة الزعيم الراكع وخلفه الشمس، دائرةٌ
تخرج منها سهام مستقيمة كما يرسمها الاطفال
لأنني قلت لها أنني رسّام
وكيف
رسمت فالو جبلَ قبيلتها الضائع
والشمس المائلة بنصف سهامها على سور المخيَّم
حيث يمرض الاطفال حيث مات طفلها حيث يهذي
جدّها في المطر – يُجنّ الشيوخ يهربُ الشبّان
ليتحولوا الى مدمنين ليُقتلوا في المدن ليناموا في الشوارع وينتهوا في السجون، النساءُ بغايا..
وكيف رسمت فالو جبل قبيلتها الضائع

والشمس الأجنبية تقبع عليه كالسرطان، بمخالب
عمياء، شمس أمريكية داجنة روّضتها البنادق
شمس رعاة البقر شمس رجال العصابات
شمس الأدمغة المغسولة، دجاجةٌ في قفص، دجاجةٌ
مذبوحة تبحث عن رأسها في الظلام
وكيف بصقت فالو على شمسها
وأمسكت بالورقة وعليها شمسٌ تنظرُ
كعين حرّاس المخيم، كعين الدولة الآن وليس كشمس القبيلة
وليس كأي شمسٍ الآن وليس شمس فالو
الآن
وكيف مزّقت بأسنانها
هذه الشمس ، وكيف قذفت بها
كالروث في وجه البارمان، وفي وجه العالم
اللامعين كالأحذية
وعلا غضبها كنهر من النخاع يَضرب جدرانَ جسدها
وغربانٌ مجنونة تنعق بين أسنانها
تطير من عينيها الضيقتين
وذلك
عندما نصحني البارمان، لفائدتي
بأنها خطرة حين تغضب

بأنها نصف مجنونة، هندية من قبيلة «شايان»
هربت من سبعة مخيمات حكومية وتشرّدت بعيداً
تشرّدت بعيداً في وطنها الذي اغتصبوه بالآلة
في القفص الذي يحلم فيه الدولار بالمسدّس
والمسدّسُ بالدولار
وفالو
التي كانت شيطانيّةً وصغيرة
تحاربُ البوليس والقوادين في الشوارع
أرتني سكّيناً هندية كانت تخفيها في جيب سرّي
في جزمتها الطويلة المصنوعة من جلد الغزال
ذهبنا في الساعة الثانية ليلاً ننتظر آخر قارب الى ألكتراز:
أنا والهنديّة التي اسمها فالو.

(سان فرانسيسكو ١٩٦٩)

في وسط الولادة

ثقيلةٌ كالحتْف، ناريّةٌ هذه الليلة
بنجومها القلقة،أشواكها المغروزة في لحم الكلمات
هذا التاجُ المجدول لرأس امرأةٍ
تتطوّحُ في مخاضها الصعب
صرختها الثاقبة
ستمزق مشيمة الليل
وتجعلني أرفعُ رأسي.

تحت النجوم أرى القاتل من نافذتي
يطلقُ النارَ مرّاتٍ متلاحقةً على باب القصيدة
ثمّ يتوارى في شارعٍ فرعيّ يقودُ الى أحلامي يحدثُ هذا
في وسط الولادة حيث ينتظره قاربٌ
وآلافُ الأقدام من زوايا الأرض الأربع تأتي
راكضةً دون ان تطارد أحداً...

يحدث هذا في وسط حياتي

مرّات متلاحقة: أرى القاتلَ من نافذتي
يطلقُ النارَ على باب القصيدة ثم يتوارى في شارعٍ
فرعيّ يقودُ الى أيّامي وقطرةُ الدم، قطرةُ الدم
قطرةُ الدم تسافرُ على حذائه نحو المحطة التالية.

يخرجُ القاتل

في الريح تندفع الوقائعُ الى محطّات الاصطدام
مجنَّدةً في خدمة إلهٍ لا يبالي بالعبادة، نسورها المشلولة
تطفرُ صارخةً في الظلام، طافيةً بين أقدامنا ونحن نحلم في
السرير.

الخارطةُ صابرةٌ كوجه عابدٍ لا يتوقّعُ مَنّاً وافراً من السماء
اللحظة تأتي مواربة كالبابِ الذي تفتحه
لنا في آخر الرواق، امرأةٌ لقيناها ذات مرّة
في حلمٍ سابقٍ لم نستيقظ منه الى الآن.

إنه المساءُ الآن. القاتلُ يخرج صامتاً من الحانة
ليتبع حبل كوابيسه السُرّي الى مخبأ
الضحية، وفي ذاكرة الليل
ترنّ النقودُ المتساقطة
في رأس المرابي الذي يحلب بقرةَ الليالي في حظيرة الرساميل
المسوّرة بالجماجم:

تأتي اللحظة أخيراً،
تلك التي تأمرُ الدماءَ بالركوع في قاع القلب المدبّب
حيث تسهرُ أوثانه المجهولةُ النوايا ولا تريدنا أن ننام.

جائع، ليس لخبزٍ أو لخمر، ليس لصوتٍ عابرٍ
لا فرجَ امرأةٍ آتٍ بفردوسه، ليسَ حتّى لروحها الجميلة.
كلماتُها المريميّة، لحمها الواقعيّ، عُريها الإلهي، قُبلاتها المعمّدة بالماء والولادة.
لا لحيوانٍ يؤنسني، لا لإنسانٍ يوحشني. حتى الحقيبة المفتوحة وسط الطريق
دالقةً في الوحلِ جواهرها المسروقة. حتّى ملاكي البابليُّ متجسّداً بكلّ بهائه الترابيّ أمامي.
حتى السفينة المنتظَرة. جائع. وهناك هذا الطعام. ومائدتي عامرة.

توفيق صايغ والسيف والصارية

أطوفُ في شوارع بيركيلي باحثاً عن شبح توفيق صايغ
– جئتُ حاملاً اليك سيف K يا سيّدي
آمناً أخيراً في غمده المتواضع.

في مقهى «ميديتيرانيوم» حيث كان يجلسُ أشربُ
الكابوتشينو المُرّة بالحليب
وأكتبُ قصيدة نثر فيها قافيةٌ واحدة، حقّاً يتيمة.
في المساء أستمني على أفخاذ راكيل ويلش المستلقية
عاريةً من أجلي كجاريتي المفضّلة في مجلّة «بلاي بوي».
أمارسُ الحبّ ليلاً مع شاعرة بوذيّة تدرس اليوغا وتكتب
الهايكو، وأفعلُ أشياءَ أُخرى كثيرة
بينما صاريةٌ سكرى باكتشافاتي اللانهائية لها ميناءٌ
لن تخطئه في آخر المطاف
رغم أنه جدّ بعيد، تُبحر طوالَ الوقت، مع الريح أو
اللاريح، في مجاهل نفسي.

اكتشفتُ اليومَ كلمةً
تتصاعدُ منها الأنواءُ، اكتشفت اليوم
كلمةَ صُوفان، والضحى، بخاراً يتسلّل من تراكيب
الأرض تحت المائدة
بأحشائها المتكلّسة على شكل طائرٍ
يتهيّأ للتحليق،والمساءُ قنّينةٌ مكسورة
تُنيرُ شظاياها حدود جنوني، صفحةً صفحة.

اكتشفتُ اليوم أن الحظَّ في حكمته المُرّة
بغيٌّ تتلكّأ في مدخل زقاقٍ مسدود.
من كل شبرٍ في جسده المعذَّب حلبتُ معجزةً.
قطفتُ بالعناقيد حلولاً ضائعةً
لمشاكلَ مستحيلة.

قتلتُه بحفنة من الكلمات وهو صابرٌ، شجرةً
تستقبلُ بكلِّ أوراقها البرق.

هكذا في نهارٍ واحد عرفتُ
كيف استعيد اللآلىء من بطون الخنازير
كيف أنتشلُ من البئر سرّ الراحلين
تحت ستْر أعمق الليالي، وماذا جرى؟

الكلمة المقتولة بأنوائها، ترسو في كلّ مرّة
قدّاحةُ الحظّ الذي لا يرعوي، بلا زنادٍ ولا فتيلة.

الحظ! يتلكّأُ في قلعته الصغيرة
أزرقَ ومعجَباً باشكاله الحائرة: دخانٌ لا يكفّ عن الوحدة.

في تلك الأيام

كان هناك طغاةٌ في الأرض

يستحمّون بالدم الطازج من أعناقٍ بشريّةٍ في حمّاماتهم

تاريخٌ يعوي

تحت القفل والمفتاح

عندما يعبر السوطُ مصفّراً فوق السقوف

يركعُ السكّان على سجّادة المسامير بأصابعَ مرتعشة

تقبّلُ الهواءَ الجريح

تهبطُ في القلب مطرقةٌ

واللّهُ للتسْلية

يظهرُ من حين إلى حين

وراء النوافذ حيث ينام الأطفال مع الدُمى

وتحت الشجرة الجرداء تمضي على بطنها نحو صحارى

النشوة الزرقاء حيّةُ الريح

يظهر في إنسانيّة تجدلُ حبل الطوارىء

كلّما هبط الليلُ تنبثقُ منها آلاف الأنوار الضارية

تضرب كيفما اتّفق في الأنحاء الأربعة
شكاوى تفجّر الأفواه المخيّطة بإبرة الإرهاب
يزرقُها الفجُر بمصْل المسافاتِ مقذوفاتِ البراكين
خُرّاجِ الليالي الداكن
عمارةُ النوم الحلزونيّة
تُبحرُ مائلةً في بحرٍ من الأفيون
عندمامرةً واحدة
عندما يتجلّى
عند
ما
يمجّدُ وهو يظما
الحجُر الأعمى وذو العينين
عندما يمجّد صحوةً تحقنُ البُعد بالحرارة
بأكياس المرارة النقيّة تندبُ في الأنحاء
وتعرّف:
شيء خارقٌ واحد يقرعُ بعناد الضحيّة ناقوسَهُ في الظلام
منادياً كقابلة المعجزات
في مملكة وعرة تضيء تضاريسها عربةُ الغازي
مواكبُ الأجنّة تطفو بصمتها على أبواب الرَحِم
في أبخرة المنيّ الجديد

منادياً
بحكمة العجائز العمياوات والقردة
نداءَ السكين إذ تنحدُر نحو مصبّ مصائرنا في الأنهار
تلكَ الأيام الموغلة في القِدم عندما كانوا
يزرعون سياطهم في الأودية
لتنمو في أيّامنا هذه وجاء من يُخبر بالعاقبة
بطريق القبلة القاتلة بصلبان المسافرين
وقوداً ليليّاً يطبخون به أفكارَ الوصول إلى الأرض
بالحجّاج الصائمين في أعماق صخرة التوبة وكذلك
بالكفَرة
يمشون خِفافاً على شفرةٍ أزليّة وببراعة فهود اللّه
بالرسُل الذين وصلوا وآذانهم مقطوعةٌ بالأمواس، ألسنتهم
أكلها البرابرة
بالتوابل والثوم عندما قوبلوا بالنيران في أفاريز الصحارى
رفعوا إلى الأسوار عيوناً زائغةً كحلّها السراب
وفتحوا أفواههم ليكلّموا بالرسالة
جماجمَ الملوك المولودةَ في الصواني
ويحشرجوا كجرحى الحيَوان ولا يموتوا

لكنّ الخبر العظيم تفشّى مع الأنوار بأن الفارس الذي

خرج على جواده من أقصى وادٍ في المملكة
ليأتينا بالرسالة رؤيَ أخيراً يهبط الجبال حافياً في طريقه
إلى وادينا ولكن بعد أن خرجنا عن بكرة أبينا لاستقباله
بالجرار والدفوف والمظلات، نظر الينا مستنكراً ونحن
نسقيه الماء
وحاول الهربَ باستماتة كأنّهُ أسيرٌ ونحنُ ذئابٌ كاسرة
وكان قد نسيَ الرسالة وكان قد نسيَ الكلام.

إرشا (في الطريق الى الجمرة) **دات**

عجائبُ القدم اليمنى (هكذا بدأ القصيدة)
تكمنُ في انقاذ الشاعر الذي كان يؤمنُ بالسفر
كنوع من الاعتماد على الطُرق والطرق وحدها
في استنطاق الحقيقة
أو اذا لم توجد هذه - إجبارُ المصير على الانفتاح
كساقي امرأة خجولة
ومنْحُه جائزةً او صفعةً مدوّية (أخذَ يدخّنُ هنا
دون ان يقوى
على احتمال الجو) إنقاذ الشاعر الذي يُمضي
حياتَه في البحث عن مفتاح
يتبيّنُ له انه لا يصلحُ لبابه
لذلك يقضي حياته من جديدٍ
في البحث عن بابٍ
يصلحُ للمفتاح الذي وجدَهُ (هنا
أخذ يفكّرُ عملياً بقتل عددٍ من الرمزيين
والبلابل الغنائيّة، حتى أنه عبّأ مسدّساً وبدل ذلك

أكلَ تفّاحةً قديمة وجدها تحت يده بالصدفة)
أو، هرباً من السقوط في هوّة الذاكرة
اللعينة الى الأبد، الإغتسالُ بنتْريك السياسة الأسود
وتبنّي رايةٍ من الجلد
حيث يشعر الشاعر المسكين باهميّة ضئيلة
لكنها مناسبة، ٩٩٪ منها هواء و ١٪ للتشجيع المجاني
من قبل أصدقائه (هنا أحرق راياتهِ
القديمة والجديدة بولاعته
وألقى بالولاّعة في الحريق
ثم ألقى برأسه
خلف الولاعة فقويت النار واشتدّت لأنهُ
كان طويلَ الشعر. كثيفهُ.
وبعد ان فعل ذلك أنهى هذه القصيدة
وبدأ يكتبُ قصيدةً جديدة هذه المرّة عن عجائب القدم
اليسرى.

لا أنا، بل من يتكّلمُ من خلالي
بألسنةٍ يقطعها حالما ينتهي
بملابسَ يخلعها على هضبة ويزحف وهو عارٍ
في بيضة الفضاء الضائعة آكلا أحشاءَهُ

كذئبٍ جريح في مرآة العراء.

لكنّ الرحلة لم تكن قد بدأت والمرأة التي
فتحت ذراعيها كانت بعيدةً يُنيرها من الأسفل مهبلُها المغلَق
والخطوةُ تتفرّسُ في لحم العالم ضالّةً في ما قبل الخطوة
بأسلحةٍ مستعارة من الأعداء والعين! نازحةً عن وطنها البيضويّ لتشمل الارض الجديدة
بنظرةٍ نهائيّة قبل ان تستيقظ وتسترجع أرضها القديمة، بالقوّة.

حَرْقاً! والرحلةُ لم تكن حتى قد بدأت.
أستيقظ فأجدُ سكّيناً منسيّةً على حنجرتي. الشمس تُدلّي
في غرفتي مسبحتها الطويلة من الرصاصات
الساعة ٩
وانا ابدأ هذه القصيدة
بدل ان اكتب رسالةً طويلة الى يوسف الخال
وانا ابدأ هذه القصيدة
التي تنبش العالمَ بيتاً بيتاً، باحثةً عن عُنقي بسيف
وهذا النسر الذي يعيش في حنجرتي كسكّير في حانة هو

اللّه
هو مومس السيّاب العمياء هو آخر نيران بني الأحمر
هو مارا واليعاقبة هو أحذية جبران خليل جبران تقيسُ
أوردةً مقشعرّة
في الطرق المنحنية نحو الداخل هو الداخل في مدينة العادة
والغيمةُ في سراويل مایاكوفسكي قبل الانتحار.

العربيّة لغةٌ مقدّسة مليئة بالطيور الجارحة والسكاكين
حديدُها ممغنَطٌ قليلاً
هذه السكاكين
بعيني جائع تدور الارض حولهما، رغيفاً مسكوناً
بالأشجار.

أجنّة الحرب تولد وأصابعُ الشعراء
في مقاهي العالم للمنفيّين
تشعلُ نهاية الحلم الجافة، سيجارةً في الفجر
ساحبين عباءة الجنوب البرتقاليّة الى حريقٍ هائل يُقام في
قصيدة
تُكتَبُ على شكل قبضة.

القادة يشربون نخباً مطوّلاً على شرف الليل
والشعراء في الثكنات البعيدة يسحرون قامة التمرّد بالقصائد
ويصغون الى الطبول المنصوبة في الجبال، أيدي البرابرة الكبيرة ترفرفُ في المضائق
وهناك ساهرون في البراكين
يأكلون نظائرَ مشعَةً ضد الظلام وأسلحةٌ
تكلّم الشعوبَ الضائعة التي تبحث عن جبالها في الأودية.

صعد هذا الرجل ولم ينتظر.
انتظر في بيت سلالته ونام صامداً في رماد السلالة
أكلَ في حديقة الكبريت عشاءَهُ من الشمس والأفكار
جالساً تحت مظلّة لسانه أيّاماً
وانتظرَ المرأةَ الجميلة في جمجمة
انتظر اليمامةَ في الشمال وأكل ثمرة القادة المرّة
بزئبق الخيانات القديمة
ونام مجنوناً، أخذنا رأسه الى شاطيء
عليه رماةٌ عميان يتدرّبونَ بالسهام
على اصابة امرأة مقيّدة وعبرنا النهر
غوصاً حتى العنق نحو المنجم ثم نحو السكّين

أخذوا منّا السكّين فجأةً وجُلدنا مدّة سنةٍ تقريباً
ومُتنا قراصنةً وأنبياءً ومدمنين
كانت المجاذيف صناعته الوحيدة وكان
مجنوناً يتسلّقُ لسانَ اليمامة في المساء
ولم يسبح أبداً إلاّ نحو السكين الخالدة في العنق
ولم ينزل أبداً الى منجم، لكنّه أخذ رأسَهُ
بنفسه الى حديقة الكبريت
وأحرقَ مكتبةً كاملة بجمرة عينه الضعيفة
بانتظار ان يأخذوا منه السكّين ، أخذوا منه السكّينَ أخيراً
واعطوه جمجمةَ المرأة الجميلة وهو دجاً
قديماً فيه سمكة برتقاليّة تؤشّر الى جنوب العالم.

أقفُ في سمْتٍ غريب.
انا رجل يشقّ طريقه بين الغابات
لي هذه العيون: عينُ الدم
عين الإشارات المقلقة
عينُ رجلٍ تُربَط يداهُ من قبل عدوّ
عين رجل يرى وطناً يبكي امام عينيه
عين غراب مدرّب على كتف قائد
عين يمامة في يد مجنون

عين السياسيّ المسيّجة بالبنادق
عين بوذيّ أحرق نفسه احتجاجاً
عين الحزب
عين المصير العمودي
عيني الغريقة وعينيَ الأنثى
عيني التي تحارب حتي النهاية
عيني التي وقعت في الكمين
عين الحلم التي تتفجر في فجوة الحرب
عين القصيدة التي أحرقت الصفحة بتحديقها
عين العزلة المنتفخة بالنيكوتين والليالي
عين الجنس المرصّعة بلؤلؤة القبيلة
عينُ قتيلٍ على النهر
عينٌ نصبتها في الجبال يدُ الماضي
عينُ الرصاصة

على كل جدارٍ أسندتُ اليه ظهري
بقعٌ من الدم بعدد الرصاصات التي اخترقتني

أقفُ في سمت غريب: عرّاف أور
(سيرة كاملة)

ظهر كلّ شيء في كتاب العرّاف
ظهر الغراب
خرقةً تمسح مرآةَ الجبال
ظهرت المرأة الشاحبة فوق صخرة (أكلتْ
وجبةً كبيرة من النار الطازجة
وأيضاً سمادَ البحر المحفوظ في خصْيتي)
ظهر الرجل- القرد وفي يده هراوة وعيه المدبّبة
ظهر الفأرُ الابيض
يطاردُ الفأرَ الرمادي
ظهر الأنبياءُ في مراكبَ من أضلاع المجانين
ظهرت أرملةٌ حاملٌ بنجمة المغول
ظهرت الرايات في مزبلة الليل
ظهرت الرايات
فوق المصاطب التي قذفَ عليها الجنود
ظهر زرادشت في الاناشيد التقليدية واختفى ثعبانه في الكتُب المقدَّسة

ظهرت الآلةُ في يد المجنون
ظهر الجسر
ثم ظهر اللّه في نزهته الانتحارية على حبْل العدالة
ظهر الحاكمُ تحت المشنقة
ظهر الجلاّد من باب التوراة
ظهر الطفل من الرحِم الى العالم
ظهر البرق ظهر الرعد ظهرت المزولة
سفينةً يحاربُ عليها
بحّارةٌ عميان
ظهر البدويُّ في المدُن المضمَّدة بأحزان العاهرة الريفيّة
ظهرت الحيوانات من سفينة نوح
ظهرت الايام ووقفت في الابواب
ظهر برج العقرب
وبرج الجوزاء
و برج الأسد
و برج الحوت
و برج الميزان
ظهر كل شيء في كتاب العرّاف
ثم اختفى كل شيء من كتاب العرّاف
حتى الرصاصة التي تحمل الدنيا

كالدولفين على أنفها
حتى اليد التي كتبت
حتى اليد التي لم تكتب أبداً
حتى عين السهروردي الناقصة
حتي ملابس النبيّ الذي عاش في نيران التواضع
اختفت القبيلة في الثقب الثالث في الناي
اختفى السمندل ما بين الأرض والدبّ الأكبر
اختفت الصحراء في الرسغ الملتوي
اختفى الرسغُ في التربة
ونمَتْ منه أصولُ الطاعة
اختفى السرّ في الأعجوبة الفاشلة
اختفى المفتاح في الطابق الثالث
اختفت الريح في أُور بشكلٍ غامض ذات يوم
فاختنق الناس، وماتوا جميعاً من الخوف
واختفى حتى العرّاف
اختفى العرّافُ في الهند وجلسَ تحت أشجار التمارند
تحت مظلّة من سيوف
كانت أفكارُه تنصبها فوق رأسه
لتحميه من الشمس القويّة اختفى العرّافُ في المظلّة
وبقي في الليل مدّةَ سنة

أسيراً في مصانع الحلم وبين جدران
أسيرَ يديه اللتين ضاعتا في ارض الخمور ينامُ
بعمقٍ قرب المفتاح الذي فقده أسيراً
في عيني التي تحرس دجلة
في أرخبيلاتٍ بعيدة يعيش فيها العبيد على كلمة السرّ
ويخطّطونَ تصميمَ ثورة حتى الإبادة –

ألقيَ في الجبّ
حيث أخذ يفكّرُ أيّاماً بما جرى لهُ
ومن الكوّة الوحيدة رأى نجّاراً حافياً يقادُ الى خشبة الصلب
ساحرةً عمياءَ تُشَدُّ من شعرها الى محْرقة
ملاكاً يطيرُ وفي سرّته خازوقٌ من الذهب
قدّيساً يجلس بجلالٍ في مهبل الماضي
وعلى رأسه المجزوز حدأةٌ مجوسيّة.
رأى جمعاً من العذارى
ينتظرن دورهنَّ للنوم
مع التنيّن الذي احتلَّ نبعَ المملكة
ورأى العبيد يصنعون الخمورَ القويّة للأُمراء
ويُجلدون حتى الموت من قِبل عبد –

كان أسيراً في سومطرة
وظُنّ خائناً وشنقه ماجلاّن على ظهر سفينته
التي كان أكثرُ بحّارتها قد جُنّوا من الجوع
ثم رؤي في القرون الفائتة يتسلّقُ
جدراناً شاهقةً على هيئة مصّاص دماء
يرتدي بدلةً سوداء لهاجناحان طويلان من الجلد.

في ملابسه الأرضيّة الضيقة
يتاجرُ بالأجوبة الصارمة والمجرّات البعيدة

يشرب قهوته مع الفأس والفقراء الذين
سوف يرثون الأرض بالقوّة.

في آخرِ أيّامه يحلم بحرائقَ عظيمة
وتقتله بسكّين مسمومة بغيٍّ مقدّسة تتقنُ أسرارَ اللذّة
والموت.

○

ذهب أحدهم الى باب الحبيب
وطرق. سأله صوت،

من هناك؟

فأجاب، هذا أنا.

قال الصوت، المكان لايتسع لي ولك.

وأغلق الباب. بعد سنة من العزلة والحرمان عاد فطرق.

سأله صوت من الداخل، من هناك؟

فقال الرجل، هذا أنت.

وفُتح له الباب.

جلال الدين رومي

(عن «طريق الصوفي» لإدريس شاه)

○

لستِ الألف ولستِ الياء
لكنّكَ بينهما مقيّدةٌ بحبل
مع أنّك لستِ مقيَّدة مع أنك
ياءٌ تفتحُ فمَها لمنيِّ الألف
النازل من عُزلته في الجبال ناشراً جوعَه العظيم
كعباءةٍ من الأعصاب على كتفيه
ونحو نهركِ ونحو نهرٍ تجلسُ على جانبيه شعوبٌ عظيمة
تلمَع أوسمة الضّباط مع أنك مقيّدةٌ لتمزيقٍ لا
يتخيّلهُ أحد.

أراكِ في نهْر القصيدة
وأحدهم يجذّف بنهديك في النهر
أرى صورتك محفورةً على قيدي في سجن بعيد
أرى جسدك مقيّداً على سنام العالم المليء بالمنيّ والذهب
وأجيالٌ طويلة من الرجال تهبط الى مهبلك وتخرج في الجهة
الثانية من الموت.
لسانكِ مطْواة
ثديك فنارٌ يرشد سُفنَ التجّار الى اليابسة
حيثُ العدالةُ شحّاذ
أفتح جنوبَكِ برأس أفعى وأقتلكِ ثم أُحييك ثانيةً
لاقتلك من جديد.

على المياه العميقة حقائقُ لها أسنان
على ألف الأنا، على الألف
أُشهر حرباً صليبيّة وأقطفُ النونَ بأسناني
وأنصبُ الألف ثانيةً فناراً تدور فيه عينُ الاحياء.
الليل، مرتزقةٌ يدخّنون بانتظار أول ثائر إفريقيّ يتقدّم
وهو يتقدّمُ في شوارع نفسي
التي تكتظّ بالكوارث والأنوار:
الجميعُ فيّ ينتظرون الخروج –

الشمسُ قامرت في جسدي نجمةٌ
(الشمس قامرت في جسدي) تظهرُ
عرفتْ صخوري (عرفت صخوري) على
صخرةً بعد صخرة نافذة
(صخوةً بعد صخرة) رجلٍ
وهربت بين ذراعيّ معدَم
(وهربت بين ذراعيّ) يتضوّرُ
وأضاءتني وهي في صدري اطفاله
(وأضاءتني وهي في صدري) جوعاً:
كامرأة مليئة النهدين يرفس
(كامرأة مليئة النهدين) النجمة
حتى سكرتُ بقوة حتى
(حتى سكرتُ) تعود الى
حتى أصبحَ كلّ عظمٍ فيّ مكانها!
(حتى أصبح كل عظم فيّ) يلتقط
سكّيراً يدمنُ على الطيران سكّيناً
(سكّيراً يدمنُ على الطيران) وينزلُ
بلا أجنحة ولاهدف الى
بلا أجنحةٍ ولا هدف المدينة.

الشمسُ في الخارج وحيدة
تدخل الشمس الى غرفتي وأنا ببطء أدخلكِ
تجدُني ألعق نهديك كأنّهما
ملحُ الأرض، أقامرُ عليك وأنت بعيدةٌ عنّي
تجذني وتركعُ معي في رحِمك التائه
ننتظرُ أن تستيقظي كنهرٍ يقتربُ من المصبّ
نقترب من المصبَ أنا وأنتِ
وشعرنا مشعَثٌ كشعر صيّاد في الجبال رأى الفريسة

امرأةٌ تخرج من الظلّ
نحو أبواب المدن البركانيّة تأكلُ في طريقها
خرائط المنجّم وتطرح أطفالها
في برج حامل الدلو وبرج الأسد
وفي برج العقرب تنامُ وعلى دائرة الاستواء
تنزف من رحِمها ثوراتٍ حمراء وتترك ملاءةَ
الأمومة في الصحراء
لابنها الضالّ وعيناه الجمريّتان تضيئان آثارَ
غزالة الليل
يضرب بين ديانات المستقبل ومن أطراف
أصابعه

تنطلقُ مخلوقاتٌ لم يحلم بها اللّهُ في غزوٍ
كثيف.

أصوّبُ هذه المرآة المنصوبة في دمي بكل قوّتي
نحو مخلوقات الكلمة الجديدة
رطبةً ومشعرةً على مياه العُزلة تسطعُ ولا تظهر
تزحفُ في بنايات نومي الى أطراف قبضتي
تسحر رأسي
وترجمني جماهيرُها من تحت جلدي
لكنّني أُصغي طويلاً واسمعُ حياتي وحدها
تقيّدني بإشراقاتٍ شرّيرة الى نقطة الغليان
مرفوعة الذراعين عاريةً كامرأة تغسلُ ثدييها في نهر. . .

أذهلتني امرأة بشعرها الكثيف الذي كان
سرّياً كطبيعة مدوّرة ينحني في مركزها رجلٌ
يتسقّطُ إشاراتٍ
لا يعرف من أين
ووضعتُ حياتي على الطرق التي وطأتها
قدماها البيضاوان تركتُ في كل خطوةٍ
بعضاً من جلدي

عبرتُ الروافعَ والسفُن المحطّمة وأكواماً من الخرائط
لا تُفيد أحداً، رجالاً
يتعلّمون فنَّ الطباعة على لحم المحيطات
آلات سكرانة تهذي
أو تتقيّأ في المدُن عبرتُ قبيلةً
جلستْ على نهر تعبدُ صورتَها في الماء
وحاولتُ أن أعبرَ في الظلّ الى النار لأحترق
لكنني وجدت أنثى مفقودةً في التيّارات الكبرى
وبغيّاً تخفي عينيها تحت المخدّة
قبل ان تطفئ النور في الغرفة
كنتُ في مركز عيني قبل ان تظهر أنتظر
وكانت تنتظر ظهوري محفوظةً في انابيق سيميائيٍّ يتعاملُ
بالمطهِّرات الناريّة في قلب الظلام
ويُعَرف في القرية الجبليّة بأطواره المريبة وانشغاله
في الليل بغلي الذهب تحت عدسة
في مركز عيني قبل ان تظهر عيني أنتظر
وعيني تنتظر ظهوري في شعرٍ كثيف لأنثى
وخلف كتفي الساعةُ الحيّة تفترسُ سمكةً في كل دقيقة
تخفق في حوصلة الفضاء وتلطمُ ظهري بموجةٍ
من عيون الغزاة المنتفخة بأحلام انتحاريّة وسهامٍ

لم تسدَّد جيّداً فأهتزُّ كانني بابٌ
بلا مفاصلَ على حافّة الكون
تحت عتبتي موادٌّ نجميّة لا يمكن النظرُ اليها بثبات
لكنّها تحدّق الى الداخل آتيةً من أقصى نهاياتي
لتُعلنَ بدايةَ حياتي بنجمة

عندما عبرتُ بمساعدة الأحياء الى عيني

ثم قالت لي امرأةٌ اعبرْ اليَّ
وكنت قد عبرتُ وأخذتُ أسبحُ حين قالت
آه من هذا العبور فلم اعرف ما أفعلُ وبقيتُ في ذلك المكان
تقتربُ منّي موجةٌ وتبتعدُ عنّيَ أخرى
ألمعُ على حافّة اليابسة كبندقيّة مصوّبة نحو الأمواج
مضمّداً رسغي الملتوي بورقة السلالة الرطبة بالمنيّ ثمّ
أخذت المرأة تغنّي

من يأخذني
يجدْ عيْنَهُ في نهاية جسدي
محفوظةً في بئر أعضائي
معتّقة كالخمر

على العجائب والأنوار لكنَّهُ في كل فجر
سيفقدني فجأةً دون أن يعرف متى
لينسلّ هو وسيفُه
خارج بركان حيامني
الذي بَرَدَ كالقطب
حين اقتربتُ من قامتها أُصبْتُ
بنوبةٍ من البروق السحريّة كانت تصدرُ من مكانٍ ما
لم استطع ان اكتشفه تماماً وعرضت عليها جميعَ ما أملك
من نقود
وبضعَ كتابات لا يفهمها أحدٌ غيري فقبلت
وفي سريري الضيّق كدتُ أُجنُّ وأنا أبحث في جسدها عن
عيني لكن عبثاً وأخيراً
نمنا، وفي الفجر استيقظت وسألتني عن الساعة
فقلتُ أنّني لا أملكُ ساعة
وأخذت افكّرُ بطريقة مهذّبة للتخلّص منها
ثم قال رجلٌ

تقدَّمْ اليهم سائراً على حبالٍ قويّة تستطيع ان تنسجها
من أعصابك أو عروقك والإضاءةُ تأتيكَ من جهازك
العصبيّ نفسه احذرْ قليلاً

لكن لا تبالغْ في الحذر كلُّ ما عدا ذلك
معدٌّ ومكفولٌ اخطُ الخطوة الأولى
يسمّى هذا بالتفكيرِ الخطّي

كنت بجانبها نصفَ نائم تسحبني اليقظة
الى أوكارٍ جديدة والشمسُ في منتصف رأسي
أنزفُ من أنفي على الأرض البعيدة التي
تدور وكل ما تحمله امرأة بيضاء
توحي بأنها غرقت حديثاً (لشدة بياضها) تبدأ بالحركة
عندما تسقطُ عليها قطراتٌ من دمي
وأحاولُ أن أكفَ عن نزيفي
لكن يظهر لي فجأةً ان ذلك مستحيل في مثل هذه الظروف!
ويبدأ العالمُ بالظهور وإذا هو عينٌ حيّة تسمّرُ الكواكبَ
بنظرة
ثم تطلقها حول رسغي بعنف
بضعُ قبائلَ عارية تنتظر تحت نخلةِ أصابعي
لأوقدَ لها ناراً تفصل بينها
وبين الذئاب القريبة
الواقفة على شكل جدار..
في المركز مفكّراً بنهر حتى أكونَ النهر

أكون النهر وأعبرُ ذاهلاً بين الأراضي
والنساء المعلّقات في الأبواب
لا أستطيعُ أن افعلَ شيئاً وأنا أرى امرأتي تُربَط من شعرها
في باب مسرح وبعد أيّام
تُحلُّ وتُوضَعُ على أرضيّة مِشنقة
على قاعدة المشنقة رجلٌ يداعبُ مسبحةً
مصنوعةً من أسناني
يعلنُ لا تذهبْ الى المصبَ ليسَ هناكَ مصبٌ أمينٌ يا بُنَي
إجرِ الى الأبد

كان تمساحٌ سكران يغنّي على المسرح
جلستُ في أحد المقاعد مع الآخرين الذين كانوا
صامتينَ في الظلام وبعضهم
يتحرّكُ في الظلام وثمّ قاماتٌ
تتجوّلُ وتلمعُ في رؤوسها فجأةً
عيونُ حيواناتٍ زرقاءُ جائعة وكان ذلك يحدثُ كلّما
رفعتُ عيني أو حاولت ان انظر حولي
لأعرف أين أنا
بعد قليل حاول رجلٌ مجهول ان يغادر
المسرح فأُطلق عليه الرصاص وقُتل على الفور

بدّلوا الاثاث ونصبوا بدل الأثاث تماثيلَ خفيفة من المطّاط
لملائكة وشياطين
موزّعةً في انحاء المسرح كيفما اتفق جعلوا الأشعة الصناعية
أكثرَ خفوتاً
لتخفّف من البياض الأصلي ثم أطلقوا مجموعةً من الغربان
المنقوعة بالفُسفور في الهواء وظهر أستاذٌ
جامعيّ ذو شعر أبيض ونظّارة
بحجم رادار فأخذَ يقرأُ مختاراتٍ من "الأرض الخراب"
وفي أثناء ذلك استُحضرتْ على المسرح

مبولةُ دوتشامب
مغزلُ غاندي
نظّارةُ تروتسكي
سيجارُ تشرتشل
معطفُ ستالين
شاربُ هتلر
مقصلةُ روبسبير
بابُ زنزانة
رأسُ يوحنا
عربةُ أبوللو

قُرناُ الاسكندر

صندوقُ باندورا

عباءةُ دراكيولا

وحصانُ طروادة

الذي فتحوا بابَهُ من فتحة الشرج بمفتاح
لايقوى على حمله رجلان فطار من داخله
نسرٌ نيتشه وزحفَ الى الخارج ثعبانه المشهور
وشرعا يبحثان عن بعضهما وسطَ تصفيق الجمهور
الذي كانت بوادرُ جنون سرّي قد بدأت
تظهر في سلوك أكثريّة أفراده ثم وضعوا موسيقى
كارمينا بورانا لكارل أورف للتخفيف من حدّة الجوّ
لكنّ أصعب شيء هو هذا كأنّني أنظرُ الى شظيّة لامساً
شعركِ أو بطنك عليكَ أيضاً
ان تلتقي بهم ثانيةً بعد عدّة سنين تحت جدار أو نافذة
أو تتضخّمُ بأن تتنفّسَ متذكّراً أحلاماً مشتركةً
أو تشرب دواءكَ الكونيَ وتُظهرُ لوناً حقيقيّاً مفقوداً في ١٢
مرآة!
ترى وجهاً خلف خطوات مسرعةٍ على خارطة من الحجر
ساعاتٍ دقائقَ ثمّ لحظات

في آلةٍ صغيرةٍ ضيّقة لكنها كذلك مسكونةٌ بالمرآة
تحت الشمس
أو في ظلّ منارةٍ من الصقور كنت نائماً والأفكارُ سكاكينُ
موجّهةٌ نحو الفضاء
تلتقي بهم ثانيةً عندما يدركون نهائيّاً ان الماضي
غيرُ كاف لوضع السحْر من جديد
في القبضة التي تصلّي مستقلّةً على العالم كغيمةٍ من
الأعصاب وهناك المرأة
الأكثرُ جمالاً
من المرأة الحقيقيّة دائماً والتي يتحلّلُ وجهها في البداية
بين شظايا الهواء حيث أقفُ أو بعد ساعات
من التركيز هناك مركزٌ في الشوارع
محورٌ وحيد تدور حوله كواكبُ ناريّةٌ من الاحتمالات
أو أنّ المطر
يتوقّف مع مخلوقات مرمّمة بالأسلاك
تتوقّفُ وسفُنٍ قديمة في نهاية الممرّ الأرضي وحين قالوا
لا ينبغي ليس صحيحاً ان ننتظر آباء نا أو الجنود
وأن ننزل أخيراً من اليابسة
الحقيقةُ في داخلي وهي مليئةٌ بالأخطاء
في هذه الارض التي تتجعّدُ القنبلةُ لحظةً واحدة

قبل ان تضربها أو تظهرُ بقناعٍ مختلف
أو تحت التماثيل العصبيّة الحقيقةُ تنقل رأسها المحترق من
اليد اليُمنى
الى لحظة الانفجار

ولن يريني أحدٌ وجهَهُ الحقيقيّ كلُّ ما أصغيتُ اليه
نظرتُ اليه عرفتهُ تنقلتُ فيه
حملتُ فأسَهُ صوّبتها الى نفسي
في منطقةٍ مجهولة دخانٌ أشعّةٌ راديوية هالةٌ
حول جميع الرجال والنساء هلالٌ من الجوع
وهناك لغتهم الخاصّة التي هي لغتي
وأقدامي على طرقهم التي ليس طُرقي
لكنّني أسالُ عن اسمي أنهارٌ وسكاكينُ
تدفعُ في وجهي رجلاً
تطرقُ فيه مساميرَ أو مطرقةً أو لساناً لا أحد
يحتاجُ الى ان يفهم شيئاً أيَّ شيء
في كلّ شيء لا شيءَ في أيّ شيء فُهمَ كلُّ شيء أُعطيَ الى
الأبد..

الحلُّ اذن أن تنبعث في يديك اسلحةٌ قديمةٌ كان،

قديماً، يستعملها شعبٌ واقفٌ على الأبراج!
أن تستعمل الحقيقةَ كأنها قمْعٌ
يصبُّ فيه نهرُ الإشارات
وفي هذه الحالة، تقفُ جميعُ الاسئلة
من ورائك محتميةً بمشنقة، في حضرة
أفعى السياسة. أن تقول لماذا
في هذه الحالة، هو ان تصافح رجلاً بيدٍ
تحمل قُنبلةً موقوتةً في كلّ إصبع (الرجل الذي قضى حياتَهُ وموتَهُ
في مطاردةٍ لا هدفَ لها. في نهايتها يصل الى الارض
التي خرجَ منها ليبدأ المطاردة)
الصرخةُ بوصفها باباً، بوصفها حياةً
تُطرَقُ فيها مساميرُ ثلاثةٌ بهراوةٍ من الحجر،
وفي الليل عادةً
او مجرّدُ أن تنظر الى رحِم حيوانٍ يكتملُ في الرمل
بمساعدة موجةٍ وحيدة المدنُ وحيدةٌ تعبرها امرأةٌ
مجهّزة بصورةٍ لا تنتهي في حديقة
غير حقيقيّة تلدُ فيما بعدُ سلالةً من العميان
أو عينُ رجلٍ حيّ تنظر جانبياً الى مشنقة
عسكريّة منحرفة في الدلتا على رأس نهر التاريخ وقبل

المخرج
حيث غلايين تدخّنها في الجبال قبائلُ لا حصرَ لها
تتراصفُ في عالم يختنقُ أو يُخنَقُ في الحقيقة
وهذه الأفعالُ كلّها في داخل خليّةٍ
سريّةٍ أو عاديّةٍ إذا شئت
كلسانٍ يُقطَعُ لينبُتَ كغابةٍ في قلب ١٩٧٢

(سان فرانسيسكو)

مسافرون الى اللحظة التالية

من كرسيّها الذي يغوص ببطء في رخاوة الليل
تبتسمُ لي، في بارات يُنزل اليها عبرَ عالمٍ سفليّ
مضاء بالنيون، عرّافون مقرفصون على الأرض
يُصغون الى زلزال بعيد لا يسمعهُ أحد
وطلقاتٌ مخنوقةٌ تمضي
في اتّجاهٍ واحد أهدافها مختومةٌ
على جدرانها الداخلية، أسيرُ ولا تصلني
ألتفتُ فيسكن كل شيء
ويغلي بانتظاري
وحين تنحني هي، يهرعُ سيلٌ من الرجال أرواحهم
في أيديهم ليتسلّقوا الأسوار، يتصاعد اللهبُ
من شعرها كبرج قلعة وفي عينيها العمياوين
يبدأ نهران من الزئبق بالسيَلان..

أسيرُ الى البعيد في نورٍ غريب
يمتلئُ تدريجياً بكثافةٍ حيّة، يخفق كحوصلة طائر

يزدردُ مخلوقاً سحرياً بضربة واحدة.

قدماي وحدهما حملتاني الى هذه اللحظة
هذه اللحظة وحدها حملتني الى قدميّ
مكانٌ يسفرُ عن وجهه بلادٌ تخفي وجهها بيديها في عاصفةٍ
تفترس الخراف
والحشرات الليلية وأعناب القرويين، تبتلعُ أمواسَ الريح. .
كان في يدي منجلٌ لكنّ أحد العرّافين سرقَهُ
وأخذ يحصدُ به حقولاً بعيدة.

بناياتٌ سراديبها مليئة بأجساد العبيد وفي كلّ صندوقٍ
للقمامة
رجلٌ يتأمّلُ الغروب أو يعوي كالكلب كلما طلعَ القمر
كلما مرّ حاملو السياط وامرأةٌ على كل باب في المدينة تريني
جرحاً
يحفر فخذيها كالوادي كلما وصلتُ على ضوء شمعة
أو مصباحٍ يدويّ يضيء بضعف كعين رجل دُفن حيّاً و في
ابتسامتها كلامٌ
بلغة أفهمها لكنني أحاول أن أتفادى
سطحها المليء برؤوس تحترق، أتجاهلُ ان أرى المصبّ

الهاوية المنبعَ السحيق الذي تنبثق منهُ
بعيدةً كطفلٍ يبكي في كوكب آخر، حشرجةِ أوّل انسانٍ في التاريخ. عندما وصلتُ كانت قد مرّت ألفُ سنةٍ على رحيلي.

نمتُ تحت الأشجار وجدتُ بدلةً من المسامير
على ضفّة نهر. عشت في كهفٍ ضربت على وجهي في اليوم التالي
هرب وجهي وأخذ يضرب على وجههِ
فأخذت أسير بلا وجهٍ متقدّماً
أو متأخراً واقفاً وحدي
أعبرُ في الساحات في السراديب
أهبطُ أصعدُ أطيرُ أزحفُ على رجلٍ واحدة
بثلاث أرجلٍ على يديّ على رأسي
ثم وحين أتعب أسيرُ أفقياً عمودياً
أنتهي أسيراً سائراً الى سريري
حائراً في سرّي سارحاً ساهراً كأن أحدهم يرفض أن يعيدني الى غمدي.

وكلّما أعلنوا مجيء ليلة أخرى

في الساحات بالطبول والرايات
يستيقظُ المخلوقُ النائمُ على وجهه ومن ظهره تنمو أشجارٌ باسقة
لكنني الآن خفيفٌ كأنني تخلّصتُ من عظامي
وفي داخلي فضاء يلمعُ ويستديرُ على نفسه كسكّينٍ
أعرفُ كيف أطفو على ضوئها في الوديان، وحين أطفو
أراه يسبحُ تحتي كالحوت
ويبلّط الشارع بلسانه تحت قدميّ
لكنني أترك الشارع الى البراري
حيث أستريحُ تحت شجرة
فيكون فأساً، أكون قلعةً، هو المنجنيق.
اسطوانةً، هو الإبرة.

وذات مرة تحوّل الى عصفور فصرتُ بندقيّة.

وكان طاغيةً فتحولتُ الى ثورة
وعندما أصبحتُ قَدماً لا تعرف أين تسير
تنصّلَ عن حياتي في هذه الغرفة هارباً ليمتزجَ بالظلام
ليدخلَ أنفاقاً بعيدة
ليحاور رجلاً لن ألاقيه أبداً

في مدينة لن أصل اليها أبداً حيث تبتسم لي
من كرسيّها الذي يغوص ببطء في رخاوة الليل. الليل،
و «العالم الجديد».

(١٩٧٢)

دليل الى مدينة محاصرة

كقبضة،
او كتلة من الاسفنج المجفّف، المتبلور عبر عشرات السنين ومروراً بتجارب لا حدّ لها يجريها عليها البحر كيمياوياً: او مجرّد دائرة كاملة من مادّة متصلدة نتيجة تشنّجات مسلّطة عليها من قبل الشمس: حرّة من الخارج، عمياء في الداخل مكهربة بالغياب الذي تحتويه المادة ولا تستطيع الا ان تحتفظ به في وجه قوانين الحركة

أو محاولاتنا الجديّة في إبراز الدلائل من داخل دوائر النوم، على وجود اليقظة، وانتشال لحظات قصيرة من الضجيج من قطعة من المعدن المطروق: احياناً يسحر هذا الشعور المؤلف من حركاتٍ لا نهائيّة دقيقة،

من أقدام
نملة عاملة مثلاً،
عينَنا الداخلية كأن كلّ شخص، منتصباً على قدميه

المشرئبتين في زوج من الأحذية الغامضة، هو مجهر كبير مغطى بالثياب: تمثال قبل ان يُزاح عنه الستار، وهذا التمثال لفرط امتلائه بالانعكاسات المترددة الوافدة عليه من الخارج هو مطلق فريد من أصوات هياريّة وانبجاسات مشيرة الى مناطق التحرك، بحيث انه، نتيجة حياته التي لا تعرف التلف وإنّما الاستيعاب المطلق – يبدو مستعداً دائما لاطلاق النار على أبعد رجل يحدث انه يسير في طريق فرعي، في **بلدة**
ثانية

لكي يثبت، مثلاً وعلى الاقل
١ – ان هناك دلائل قاطعة على وجود حياة كثيفة وخصبة في
أ- اليد الملتزمة بألا تتحرك الا ضمن المسافة المعطاة لها في حدود الفضاء الذى يحيط الجسد الذي ترتبط به الى الأبد (إلاّ في حالة البتر)
ب- العين التي تشارك في الاحداث وهي معلقة ضمن قناع علّقته يد معينة على مسافة معينة من الارض **لمجرد الاطمئنان.**
٢ – ان عملية الجمع بين اليد والعين في خطّ منحنٍ واحد يميل على القاعدة ويساعد على توجيه حركتها الكلية،

نحو

أيما هدف

تضع بين أيدينا، أي هذه العملية –

تضع بين أيدينا جهازاً خطراً يمكنه اقتلاع مدينة كاملة من جذورها القديمة ووضعها من جديد في حدود الأشعة الجنونية التي تنطلق من هذه الفتحة العميقة التي لا تتخذ اسمها الحقيقي الا بمشاركة عضو آخر يتخذ اسمه الحقيقي (**اليد**) حين يُقدَح غيابهما المزدوج

معاً

في

مركز الجلد، وبقسوة، عنف، ضروريين

آنذاك تدفع القاعدة مصيرها الى جانب هذه القابلية التي كانت خاماً حتى الآن:

وتمضي مندفعةً الى خارج الأسوار كرسول يخرج من مدينة محاصرة ذاهباً الى نقطة ثابتة ترشده اليها الرصاصات المنطلقة من حوله والموجهة اليه بالذات.

مرآة بحجم العالم

١ رحلة ح

٢ رحلة ب

٣ ح يرحل على شكل مثلث

٤ ب ترحل في دائرة

٥ كل منهما يرسم زنزانة هندسية في الفضاء

٦ حين يلتقي ح، ب يذهبان الى فندق

٧ في داخل الفندق

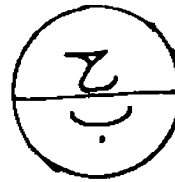

٨ يجلس ح في سرير ضيق (يشعل سيجارة

٩ تنحني ب على عضو ح

١٠ يذهب ح الى النافذة

١١ في خارج النافذة جسر عليه ٤ رجال يضربون رجلاً خامساً

١٢ في الميناء القريب طيورٌ ساكنة في الهواء كطيّارات ورق

١٣ عمّال يضعون مرآةً كبيرة في قارب

١٤ ينزل ح الى الميناء ويتناول حجراً بيده اليمنى

١٥ تخرج ب من الفندق و على فمها آثار امتصاص عميقة

١٦ تقف الشمس في مركز الكون بالضبط
١٧ يتجه القارب شرقاً (تواجه المرآة هيكل الجسر أفقياً
١٨ في المرآة: ح عارياً
١٩ يتجه القارب شرقاً
٢٠ تتلقى المرآة الشمس في قلبها تماماً
٢١ يطلق ح الحجر بكل قواه مصوّباً نحو المرآة
٢٢ يلقي الرجل الخامس بنفسه من أعلى الجسر ويأخذ بالسباحة
٢٣ ينظر الرجال الأربعة اليه بصمت

البحر في أنسينادا

كنتُ في ذلك الوقت
قد كففت عن السير ومن تعبي المفرط لم أرَ
نفسي الا وانا في الرمل والبحر يزحف من حولي وأذناي ترتعدان بالضجة الشبيهة باللهاث كأن بين صماخيهما مجرى يهدر في داخله الموج. بين جانبي رأسي وليس على حافة اليابسة قادماً من هوة المحيط: البحر، بلا وزن في شبه الليل كأنه آلة حيّة. ومن ورائي غرفة الفندق وبعض السيّاح المتأخرين. كان ينزل في صماخي الأيمن هارباً في

فضاء رأسي تاركاً نوعاً من الأحلام الحرّة. قدماي في الرمل، كطائر بشري له يدان من الجلد بدل جناحين. ودخل مجال نظري عابرا سبيل، قامتان. رجل وامرأة يسيران على حافة البحر. فكرت بأنهما يتكلمان او ربما كانا صامتين. لم يكونا قريبين مني.

كانت لهما

اقدام سريّة تخفق بهدوء كأربعة نباتاتٍ متشرّدة تحمل أكواماً هائلة من الجذور بالمقلوب، متوازنة بفعل معجزة او بفعل قوانين لا اعرفها. في الحقيقة ان الأشعة المنوّمة التي تخرج من البحر هي المسؤولة، كثيفة ومسيطرة كيدي فنان يحرّك الدمى من أعلى المسرح. او ربما كان هذا هو ما يحدث: الأشعّة التي تحيط بهذه المنطقة، قريباً من البحر تحيل الجو الى ما يشبه الأعماق، أية أعماق او الأعماق البحريّة بالأخص. لذلك يبدو الفضاء نفسه ملموساً بيضويّاً كمادّة والهواء يتحرك بكثافة.

لذلك

كانت قامتا الرجل والمرأة تسبحان بمشقّة في موجة واحدة تحملهما على الرمل قريباً مني الآن حتى لأرى جانبي وجهيهما وفتحة الفم الجانبية للمرأة وحفرة العنق ثم يبتعد كل شيء سابحاً نحو نقطة التحلّل ويبدأ الرجل

بالاختفاء تدريجياً وبعد ذلك المرأة عندما أغمض عينيّ اكثر

هكذا

غرفة اليوناني

لن أزعجك اكثر من هذا.

كلاّ، أنا نفسي خرجت لأجد أحداً أتحدث معه.

خرجتَ في الليل تسير لتجد احداً تتحدث معه؟

نعم.

ليس هذا غريباً.

لكنني لم اتوقع ان يهطل المطر بهذا العناد. والبرد أيضاً شديد.

انك لا ترتدي ملابس حقيقية. سروالك صيفي؟

انه خفيف لكنه جيّد.

لن ينفعك كثيراً. خصوصاً هذه الليلة.

رأيتُ عينيه تتحركان في قناع مظلم من الجلد. انتظرت ان يكمل.

هذا هو يوم الطوفان.

يوم ماذا؟

الطوفان، الطوفان. (يداه ترتفعان) أنا، أنت، العالم: كل شيء سيغرق، سيغيب.

اليوم؟

اليوم.

وبعد ذلك؟

لم يفهم. – بعد ذلك ماذا؟ ماذا تريد ان يبقى **بعد ذلك؟**

صعرت في أنفه النحيف نبضة قوية من الدم والشماتة، وسمعته يلهث.

فكرت وانا انظر الى حاجبيه، متحاشياً كرتي عينيه المطفأتين الى الابد:

من هذا الرجل؟ وعلى المنضدة يداه: طويلتان وعظامهما بارزة، وقفازان احدهما مثقوب على نفس المنضدة يبدوان مثل سمكتين من القطن احداهما لها عين واحدة، او فتحة شرج، في الاسفل. لم انظر الى الغرفة فقد كنت أشعر تلقائياً ان البرودة ستشتد عندما أرى الكراسي الخشبية وبقية الاثاث العاري: كان الرجل يونانياً وأعمى.

اجنبي مثلي.

وعندما لم يتكلم، قلت

مثلي

مرة آخرى.

انك من بلد آخر، مثلي. نحن اجنبيان.

لم يكن يدخن لكن أنفاسه كانت من الثقل احياناً بحيث كان يبدو لي ان نوعاً من الدخان يرتفع ببطء من بين اسنانه، كان يدخّن سيجارة لا تنتهي في الداخل. لم يكن يسمع أي شيء اقوله واغاظني ذلك قليلاً، وعرفت ان الرجل من العناد والجنون بحيث لا يريد ان يفهم احداً او يسمع احداً. لا يريد الا ان يجعل شخصاً آخر لا يهمّه من كان يصغي اليه وهو يتحدث عن الطوفان في غرفته الضيقة التي تهزّها اصوات المطر في الخارج. كنت اعرف هذا النوع من المتعصبين جيّداً سوى ان الرجل الجالس امامي لم يكن له أي طموح حقيقي في تلك اللحظة سوى اقناعي بأن الطوفان حقيقة صارمة وضرورية، وكأنني بتصديقه سأثبت ذلك الوهم حقيقةً الى الأبد لأنه لن يكون وحده، وهذا هو الفرق.

حفر على الخشب

في وسط الحقيقة، الخطأ الذي يزحف كالدودة. الحقيقة = تركيب فسيفسائي من التناقضات: العلاقة بين الأجزاء،

تسميرياً وفي نوع من المنطق الاعمى. منطقة المحاق حيث الغرائز والاحلام في حرب. كاستعمالات السكين: القتل، او كشط البقايا القذرة عن مائدة ليجلس عليها الضيوف. او لمجرد الإخافة. حرارة الشرّ والنشاط الغريب لأدوات التحريك في اللغة العربية. تسمير الأنا المنهكة عارية الى جدار صلد من الأسمنت، بواسطة فأس. الشمس تتكيء على عمارة بعيدة. على المائدة، سمكة مقليّة في صحن. **الباحث الحقيقي عن الحقيقة هو الذي يجد ما تنبيء جميع الظواهر عن انه الحقيقة وحين يتأكد من انها الحقيقة، يعمل على تجاوزها بكل ما يستطيع من القوة.**

مسيح، حفر على الخشب. أسنان مكشّرة باتجاه الارض، والعنق محنيَ هندسياً وبحدّة كأنما تحت ثقل ألوهة عمياء لا اتجاه لها الا نحو الاسفل. الفنان: مجهول. **عملية التجاوز تلك اصعب من الحقيقة بكثير. قد تكون هي الحقيقة الوحيدة**

الشمس قنفذ دائري، في الليتوغراف. منحوتة القلعة (برونز في الفضاء) :

القاعدة لها أرجل محدّبة الى الداخل، كمخالب طائر ضخم متجمد من الجوع. حلم: في الصحراء. امرأة عارية تقود هيكلاً عظمياً لجمل يحمل على سنامه طفلاً نائماً.

رجال مقنّعون لهم ذيول طويلة يعملون على نصب أنابيب بترول ضخمة في الرمل. أحدهم يصوّب مشعلَ لحيم ملتهباً نحو وجهه عندما يحاول ان يقترب من المرأة.

كل حقيقة تصل اليها مغطاة بالدم، وبعض النمل. عندما ينامان، مجرد رأسين. مسرحان ترتفع فيهما ستارتان عن مشهدين مختلفين. الجموع التي تزحفُ تائهة أو تتنقّل، حرّة ومختلفة في كل رأس. الأحداث غيرها والحلم مختلف. الحلم الذي يتحرك مستقلاً وبشروطه الخاصة في الظلام الذي لا يعرف فيه أحدهما الآخر. ينامان ثانية.

تقرير

أطعمناه قليلاً من الزبدة على قطعة خبز لكن الحرارة سرعان ما أذابت الزبدة فأخذت تسيل على فمه وصدره العاري حرارة تذيب البلدة نفسها كقطعة من الزبدة تسيل على أعمدة الأفق وهناك جماعة من الرجال في واحة تختبيء في ظلّ يتقلص بسرعة لكننا في الليل لم نستطع ان نسيطر عليه اذ أخذ يعوي بصوت عالٍ فوضعنا على فمه قطعة من المطاط وبعد ذلك اقترح أحدُنا ان نحشو قطعة المطاط في فمه أي نستعملها بصفة كمّامة وفعلنا ذلك فهدأ قليلاً

وحاولنا ان ننام ونمنا بالفعل ساعة ونصف قبل ان نستيقظ على هذيانه الذي عاد أعلى هذه المرة وبعد ان رآنا أخذ يصرخ خفنا من ان نعيد الكرّة ثانيةً لأنه كان قد ابتلع الكمامة وأخذ يعوّض عن فترة صمته بنشاط أكثر في الصراخ حتى ربطناه الى شجرة ورحنا نحشو فمه بالخبز بزعانف سمكة كبيرة بدفتر التقارير واخيراً بحذاء أحد منا لكنه لم يهدأ الاّ قليلاً وأخيراً رأينا ان نتركه وحده ولمصيره على حدود البلدة المؤدية الى الصحراء ووضعنا حول رأسه إكليلاً من عيون الاسماك الميّتة تستعمل أحياناً بدل الخرز لدى بعض القبائل النهرية ولكن سرعان ما استولى علينا الشك ثم القلق ثم الفزعُ جميعاً عندما رأينا بوضوح ان العيون الجامدة في إكليله بدأت تتحرك او تنبض او تلمع وهي تحدق فينا بثبات مميت حتى لم تعد لدينا قوة كافية نواجهها بها ورأينا أنفسنا واحداً بعد آخر نتراجع ثم نهرب بقوة متزايدة دون ان نعرف الى أين.

البلدة

ظهرت البلدة من النافذة، في الغرب حيث تُجمع القمامة على شكل جبل هناك مثلثات بيضاء واخرى سوداء يظهر

اخيراً أنها طيور، وبعض الرجال المقوّسين يبحثون في أعماق الفضلات التي يتصاعد منها بخارٌ برتقالات متفسّخة. يبدو أحدهم وفي نهاية ذراعه علبة فارغة الا من سمكة سردين واحدة متيّبسة قليلاً. وجد أحدهم نظّارة بزجاجة واحدة وأخذ يجرّبها بوضعها على جسر أنفه، ثم نظر الى أعلى
بعينٍ واحدة
مفتوحة في الاطار المفقود والاخرى مغطاة بالزجاجة، فرأى العالم مفصولاً في وسطه بخطّ أفقي حادّ يترجرج كحافة بحر عدسية متلألئة في جانب وفي الجانب الآخر ظلام شاحب تظهر على سطحه قامات طويلة منحنية تشق طريقها بين البيوت بصعوبة.

الحانة المكسيكية (البلدة ٢)

في الأعلى حيث الكوّة المنفردة يدخل منها النور وذات مرة، لدهشتي، يدخل طائر ضائع بالخطأ مفكراً بأنها تقود الى الخارج وفيما بعد ظلّ يضرب بجناحيه جدران الغرفة مدة ساعة دون ان يستطيع الخروج
قبل ان تنهض المرأة وشعرها الكثيف الاسود

يغطي ظهرها العاري وتحاول
ان تمسك به وهي تضحك
حين امسكت به في النهاية وبعد ان أتعبته، بعد ان يئس، بعد ان استسلم أتت به اليّ
بينما كنت أدخّن في السرير ووضعته في يدي المفتوحة وهو يرفرف بين حين وآخر، اسيراً في كمين
وقالت شيئا بالاسبانية

EL PAJARO

لم نكن نتكلم كثيراً لأن اسبانيّتي، التي جرّبتها معها يائساً، كانت رهيبة. لكنها كفّت عن الضحك وأخذت تمشّط شعرها رغم انها ظلت واقفة تتأملني والطائر في يدي وأنا احدق في عينيه الخائفتين: كانت الغرفة مبنيّة من اخشاب نحيفة وأصوات البلدة تأتي الينا بسهولة
من الخارج. وفي الأسفل كانت الحانة الفارغة التي تجلس فيها فتاة تدخّن بعصبية، منتظرة. .
ارتديت ثيابي ونزلت الى الاسفل
حاملاً الطائر معي
وحقيبتي
ولم أسلّم على الفتاة التي أخذت تبتسم وسحقت سيجارتها على الارض، ثم رأت الطائر فأخذت تنظر الى يدي كأنها

تتوقع ان أفلت الطائر في وجهها، او ان أمرّغه على شفتيها الحمراوين كعضو جنسي مرّيش او ان أجبرها على أكله حيّاً وحارّاً كالرغيف

في الباب اضاءت الشمس وجهي

منتصبة كفرن ذرّي ينطفيء فوق البلدة

حيث فلاحون فقراء يتسكعون تحت قبعاتهم على حافة المحيط الرخوة متحدثين بأصوات عالية وبسرعة وبضع دجاجات بيضاء تخطو بين أحذيتهم المصنوعة من القماش ونساءٌ بدينات يتصايحن على عتبات أكواخ، بعيداً عن الكانتينة التي تركتها ذاهباً الى البلدة

في الأشعة الضعيفة بذا الطائر ضئيلاً ويدي التي تحتويه كقفص ناقص، عظميّةً جداً

ونحيلة كيد سجين يذهب الى البيت بعد ان أُطلق سراحه وبعد ان قضى مدة سجنه الطويلة صامتاً، حالماً بكلّ شيء في العالم المقدّس.

تركيب حلم

تتبع المستقبل في مجراه الدمويّ أفقيّاً وباستقامة وعلى إيقاع واحد هو الخطوة. في الوسط هضبة. على اليمين امرأة

منحنية وشعرها الطويل يغطي حفرة فيها اضاءة ضعيفة تأتي من وجه طفل، وعلى اليسار، البلدة. تراقب نفسك وانت تقترب من الهضبة كأن شخصاً آخر يراقبك وأنت تقترب من الهضبة، كأنك لست انت، عارياً ووحيداً في فضاء. مع انك لست عارياً ولا وحيداً، مع انك لست في فضاء. تجد طيراً يقترب من يدك اليمنى، وتفتحها فيجلس فيها منهكاً. هذا الطير. . .

البحر (٢)

عبّادة شمس على المنضدة

على الشاطئ لوطيّان أسودان وفتاة تسير بمهل ناظرة الى المحيط، قريباً منهما، حافية

وشعرها طويل واحدى يديها مفتوحة امام وجهها، تطرح على الشاطئ ظلّ أصابعها كشوكة هائلة تزحف الى الامام بحثاً عن مادّة تنغرز فيها، وكل شيء في شمس الشاطئ طويل او عريض او مدبب، مستقيم ومقلّم كالشفرة. حتى الرجل البدين الذي يدرّب ابنه على السباحة، او الغرق، على حافّة الماء. وسرطان متقلّص من الموت ينكفيء في الرمل، مسحوقاً وقريباً من صدَفته الأهليلجيّة إحدى أرجُله

تنطرحُ وحيدةً
منفصلة، وفوقها نملةٌ حيّة منهمكة بشكل سرّي
أحد اللوطيّين الزنجيّين جلس في الرمل، كان هناك كلب كبير من نوع كلاب الرعاة يلهث بالقرب من قطعة خشب أسقطها لتوّه من بين فكّيه ناظراً الى صاحبه متوقّعاً إشارة ليحملها اليه ثانيةً
في لعبة مملّة، لعبة الرجل والكلب
الأقدام، الحرارة. سماءٌ ترعى غيمةً واحدة تشبه امرأة حبلى نائمة على ظهرها ترتدي البياض وفي أيّة لحظة قد تمنح طفلاً للعالم دون ان يكون حولها أحد، وحيدةٌ في صحراء لا يسمع صراخها جميع هؤلاء فآذانهم كعيونهم تتسقّط أصواتاً قريبة ومألوفة تأتي من اليابسة حيث القمامة والكراسي، او من البحر حيث الامواج الداخلة تواصل مهمّة غير مفهومة وبلا هدف ودون ان تحقّق شيئاً سوى إنتاج هذه الضجة وربما كانت تلك هي مهمّتها ولكن فجأةً ترتفع يد، يدٌ واحدة عصبيّة قليلاً تقذف بعبّادة الشمس من على سطح المنضدة الخشبي الى مسافة أربعة أمتار حيث ترقد ساطعةً بلا حرارة، كحيوان خرج من البحر الى اليابسة ذات يوم، في هذه اللحظة، ليعلن جنسه الغريب الآتي من الأعماق الى العالم

كما فعلنا نحن ذلك من قبل.

دم صحراء شمس أيقونة مفاتيح

لم أستطع ان أحدّق طويلاً لأنّ الأشعة كانت تؤذي العينين، كُرتي العينين بالأخص واطراف الجفن حيث الجلد الداخلي، حين تكون العين مفتوحة، معرَّضٌ بلا رحمة للأشعّة. لذلك تقدّمتُ وعيناي نصف مغمضتين وأنا أشعر بغطاء الجفن يرتعد مسالماً فوق سطح العين واحياناً ينفتح رغم إرادتي مسحوراً بالأشعة البربرية التي تنبثق من جميع جوانبي.

دم، كان أحدهم ينزف. كنتُ أنزف من أنفي

كنت أنزف من أنفي في الرمل. كنت أنزف من أنفي على ملابسي وأخذت أسير وانا انزف من أنفي على الارض ونظرت الى الخلف الى بقعة من الدم على حصاة عريضة وأخذت أسير الى حيث السيّارة على اليابسة وأنا أنزف من أنفي على يدي التي حاولتُ ان أمنع بها أنفي من النزف لكنها امتلأت بالدم فمسحتها بملابسي وكان قميصي الأبيض دبقاً والبحر دبقاً يشبه الدم او الغراء الحارّ وأنا أسير بعيداً عنه وهناك امرأة تنتظر في السيارة تفتح الراديو في

يدها مفتاح شعرها كثيف ذراعها بيضاء فمها ينفتح تحت أنفها من الحرارة وهي تنظر اليّ وخلفي صحراء متحرّكة تحت اليابسة تحت البلدة ورأيتها واضحةً في الحرارة وأخذتْ تتموج في القيظ كأنها تسبح وجلست الى جانبها والسقف المعدنيّ للسيارة يحمينا من الشمس ونحن نحدق الى الأسفل حيث البحر يشعّ دامياً والحصاة تواجهه ببقعة من الدم كأيقونة تحرس اليابسة من العدو

هكذا انقضى النهار وتبعه الليل

صوتان قرب المحيط، حانة مكسيكية. الجوارب امتلأت بالرمل وبعض الماء ومن ثم حافٍ وأصابع القدمين تطبق على اليابسة تدخل مجالَ الرطوبة وبعد ذلك شعور بتسمّم بطيء يصعد من الأسفل يطرح نوعاً من العمى تحت الأجفان او كلونٍ تتشرّب به ورقة، لون كثيف رمليّ صلد في داخل الأنف. في داخل السيارة، الصوتان والمحيط القريب وإبر مضاءة تحت الزجاج رؤوسها تخترق غابةً من الارقام، سلسلة مفاتيح، أربع أيدٍ موزعة على المكان. رملٌ ايضاً. مساحة شاسعة من القامات، قوارب، بنايات، أعشاب ليلية وعينان في هيكل عظمي، عينان قرب مرفقي. وفي

نفس الوقت الرائحة البعيدة تنظّف حين تقترب، تلمس أحياناً أكواماً غامضة على الساحل تبعث بعفونة زائغة في الهواء: تنظف الصمت المرهق المتطاول هنا، كعروق تمتدّ فوق اليابسة حمراءَ تنزف، حارّة أيضاً ومليئة بذهول البلدة البعيد. وفي لحظة واحدة تُلفت نظري. وفي لحظة واحدة التفت فأكتشف ان البلدة في أعلى المحيط وعلى طول اليابسة: تحترق.

تخطيط أوّلي للنظرة

تطرح المدن الراسية محتوياتها الى الثقوب، الى البالوعات وأحياناً الى الأنهار. لكن دائماً نحو حفرة. لكن دائماً نحو هوّة. أحياناً في الليل تحاول مخلوقات ذات أطراف مضيئة ان تصعد واضعةً أيديها على الحوافَ ووجوهها مرفوعة الى الاعلى. فهناك دائماً سحر في الأعلى، ارتعاشات عموديَة في الخارج. نافورة قديمة من الحلم،
قوانين النزول. **محكمة القوانين التي هي العالم، مغلقاً على نفسه ويُفتح تفجيرياً بالضرورة.**
الرجلُ يقف وحوله سبعة سهام موجَّهة نحو الخارج، مولودة منه حاضرة للإنطلاق. حين يشرب كأساً من الماء، ينطلق

سهم. حين يرفع عينيه لينظر الى باب، طعنة. رصاصة، قنبلة بَنتْها أيدي حياته المشرَّدة في قلعة الدقائق. وحين يحبّ نائماً على جسد امرأة، عليه ان يفصل من داخله مادّة. حتى العاطفة تتحوّل الى لحم، وحبّه يتحوّل في قمّته الى أيام بيضاء تسيلُ منه سَيلانَ عنصر مقدَّس. الطعام يذهب لا الى المعدة بل الرأس، فالرجل الذي يأكل يعرف انه يغذّي ذلك الشبح القابع في وعيه، لا ليُحييه بل لينوّمه أو يرشوه. فالجوع الجسدي يغذّي الغياب وينفّره للفتك بأن يشحذ يقظته وبأن يُضعف بالمقابل الجسدَ الذي يقاوم تلك المدن المليئة بالأشباح والمنتصبة في الداخل. قوّةُ اللحم ضدّ ديانات مجرَّدة مؤلفة من ضوء الأعصاب وأفكارٍ انعكاسيّة؛ أحد اسباب الحيرة لكن أيضاً العناد: الرجل الذي ينظر الى الباب، لم يعد يكتفي بذلك بل انه يتحرّك نحوه. العين بوصفها أدقّ أداة للامتلاك تصبح كاملةً في نظرة، والنظرة تمتدّ الى حدّ ان تتّخذ دورَ يد.

البابُ ينفتح

الوصول الى المركز بالصدفة

يقفُ رجل في وسط العالم فجأة ويبدأ بالصراخ.
يتوقفُ رجلٌ عن العمل فجأة وينظر الى الباب.
يخرج من الباب.
يخرج الى ساحة مليئة بالناس. يسير بينهم مدّة طويلة حتى يسمع انفجاراً ويراهم يتفرّقون في اتّجاهات مختلفة. يدخل الى مقهى ويراقب دبّابة من خلف الزجاج. يدور القسم العلوي من الدبابة ببطء دائرياً ونحو اليمين، الخرطوم كمجهر فارغ يلتقط القامات البشرية والصدور بصمت يخترقه صرير المحور الحديدي الذي يدور عليه، كصوت آلة حصاد قديمة. تمرّ فوهة المجهر بالمقهى ثم تستمرّ عمياء في رحلتها الدائرية حتى تمرّ بالمقهى ثانيةً، وتتجاوزه ثلاث مرات. في كل مرة تبدو الفوهة حين تواجهه وكأنّ عيناً كبيرة تحدّق من خلالها، عين حيوان أو زاحفة بحرية تقبع في نهاية الآلة.

جسور بعيدة في الهواء

صغير جداً على الجسر، لكن عندما يتحرّك مقترباً تبدأ الدلالة بالبروز أكثر ويُجبَر معنى حركات الأعضاء المتحركة بالتوافق مع قوس الجسر، والنهر في الأسفل على

الظهور، ثمّ هناك أصوات النهر. أصوات النهر على الأكثر. تطغى الحركة احياناً على الاصوات. عندما يتحرك الرجل تراه العين وتخفتَ أهمية الأصوات، ويكون النهر مجرد خلفيّة في الرأس: لكن عندما يقف، تأخذ أصوات النهر بالسيطرة. لكنّه ما زال صغيراً على الجسر ينتظر احداً، او انه قد سار كثيراً

ذراعه اليمنى فقط
تتحرّك كمجذافٍ يدفعُ
قارباً الى حتفهِ

قبل ان نراه على الجسر. ومن هذه الغرفة تنطلق نظرة ثابتة لتستقرَ على قفاه لكنه لا يشعر بها إلاّ في ما بعد عندما يلتفت كأنّ أحداً هتف باسمه فجأةً من نهاية العالم الاخرى

أكوام

كومة على الدرج، كومة، (في الخلف، انسينادا، المكسيك: فضاء، محيط، غرفة فندق، حيوانات، سيّاح، تاريخ، أهرام، الى آخره) تظهر على سطح العالم وتختفي. في الشارع أنوار تُضاء لتُطفأ بعد وقت معيّن، بعد ان ظلّت عمياء تحاول ان تضيء قامةً، حقيقةً، وجهاً. او مجرد

كومة تتحرّك في ما بعد وتنحدر الى أدراج اخرى
بعضها يقود الى رائحة الملوحة، الى رائحة العفونة التي تتدفّق من البحر ممتزجةً بالملوحة وحرارة الحمّى، أصواتٌ كأصوات اغتسال، سوى ان الذي يغتسل في هذه اللحظة هو الدماغ الذي يحاول بقوّة بسُعار ان ينطفئ سوى أنه يحترق أكثر، طافياً في الكحول ومثل قطعة حادّة من الزجاج تلمع بضعف وسط كومة من الملابس واللحم، مثل عين

كل ما كنتهُ، لن أكونه ثانية.
ما سأكونه لا علاقة له بما كنته.
حياتي، لا أكثر ولا اقلّ. حياتي المحتواة بين ملابسي.
الجرحُ القديم في أسفل ذقني.
شكل أصابعي، أنفي، وجميع الاخطاء التي تحدث حولي
وتتسرّب الى داخلي
دون ان أدعوها، من خلالي.
البقيّة غير مهمة.
هذه القبضة المتشنّجة على مفتاح فندق، غير مهمّة.

غير مسمّاة، حركة تمثّل كلّ ما حوله: غيمة من الضباب او الدخان تعبر حول مرفقيه وتختفي، ثم تظهر امرأة يطاردها رجل طويل ذو منكبين عريضين، المرأة تفتّش في حقيبتها بهلع عن شيء ما، عن سكّين، عن مسدّس، عن الحقيقة. ثم تبتعد، الماء، الماء البليد، الرتيب بلا صفة بلاحياة بلا موت يحاول ان يقول شيئاً ولا ينقطع عن الاستغاثة لحظةً واحدة. جلس على صخرة. وضع يديه في شعره. وراء ظهره صوت أقدام المرأة، صوت أقدام الرجل كظلّ مشترك من الماضي يلوّح في رأسه، يصعد ويهبط على الماء، فلّينة، خرقة في

داخلي، أين؟ داخلي، ولكن
أين؟ طيورٌ واطئة، مفتاح في جيبي.
بحر، جلدي، أخشاب طافية .
ملابس تظهر منها
يدا رجل. يدان بيضاوان . ولكن
أين؟

فتح فمه ثانيةً. نظروا اليه ثانية. رأوه ثانية. توقّفَ ثانية. ركض ثانية. المحيطُ ثانيةً. من الباب ثانيةً. نحو جسور

بعيدة في الهواء. الأرجل ثانيةً. المحطّة ثانيةً. نظروا نحوه ثانيةً. قاس الدائرة ثانيةً وأخذ يحتجّ ورأوا العمود، علّقوا الرجل ثانيةً. تحرّك ثانية.

انتهى.

قال شيئاً ما ثانيةً.

المحيط. الخطّان الممتدّان كطريقي رصاصتين تخرجان من بندقية واحدة في الظلام. اليد الموجّهة نحو الصخور بدقّة ثانية. بدأ ثانية. تبعه المقامران الى الغرفة. رآها في الغرفة ثانية. وضعت يدها على المائدة. أخذا ينظران اليها . نظر اليهما ثانية. واليها ثانية.

شربا القهوة. ثم أخذت الاكواب الى المغسلة. ملأت المغسلة بعصبيّة.

شرب قهوته صامتاً. رأى الباب ثانيةً والسرير ثانية. ذهبا، انتهى. نظرت خلفهما وتنفّست ثانية. أغلقتِ الباب.

الرجلان يتكلمان

بينما

ينزلان

الدرج

ببطء شديد

جلسا وحدهما الآن. نظرت اليه ثانية. وضعت يدها على

كتفه وقالت شيئاً ما ثانيةً. فرجها الغريب الدافيء ثانيةً

من ---------- الى

طعن أحدهم المرأة بمقصّ لكنّها لم تُصَب بأذى كبير وأخذت تعوي فهرب الرجل الذي كان ذا لحية، وأفلتت من يده حقيبة أراد ان يتوقّف ليلتقط الحقيبة لكنّه قرّر أنّ مطارديه أقرب من اللازم ووضع حياته في ساقيه الطويلتين وأخذ يهرب بين بناية عالية وأخرى قصيرة على أرضيّة دبقة بأوراق خفيفة تستعملها البغايا لمسح العرق والدم، وبرجل يقف أمامه فجأة وبيده المقصّ ضاحكاً بلثّة قريبة من وجهه تقف فيها بضع أسنان كحرّاس سكارى يتطوحون على برج المدينة ولحية وحقيبة تحت بناية كان بابها مغلقاً والسيّارات تُهرَع تحتها من نقطة غير مرئية الى نقطة غير مرئية. من، إلى. من هذه النقطة تنطلق قدمان لتعبرا على جميع النقاط التي تقود الى بعضها. الحركة في الظلام. في النور كومة ملابس، جسد امرأة اغتسلت قبل قليل. وحوش بريّة تختبيء في المسرح، تقرض أقنعة تمثيلية مزيّفة تمضغ حذاء إمبراطور صينيّ أجنحة ملاك أو خفّاش ثم الستارة الكبيرة. هناك أسلحة فارغة تستعمل في المعارك

الوهميّة على المسرح، خنجر خشبي، تاج من القماش والأسلاك بلون الذهب او الغائط. اختبأ في المسرح قبل ان يكتشفه مطاردوه، مطارده الوحيد الذي كان يشبهه. مطارده الوحيد الذي كان يلهث على المسرح. أخذ يقضي أيامه في شرب القهوة والنوم في التراب، الصراخ في القاعة، تصليح الكراسي، قتل القئران قناع الجلاد حزام عريض قبّعات عريضة وضعَ قبّعة عريضة على رأسه ثم خرج. عاد فحلق لحيته ثم وضع قناع وزير متآمر وخرج. عاد فارتدى سراويل إسبانية وسترة راقص إسباني وقبّعة راقص إسباني وخرج. عاد فحمل حبلاً خرج فذهب الى الميناء. أخذ يجرّ قارباً وفي اليوم التالي شكّ فيه عمّال الميناء فحاصروه بين قاربين وأخذوا يضربونه بالحبل. جرّه أحدهم الى جانب. جرّه آخر الى البحر، وضعه أحدهم على اليابسة. أخذ يجفّ على اليابسة. اخذ ينظر الى الشمس وأخذ يجفّ. ذهب الى البلدة جافاً، غير معتدل في مشيته وسنحت له فرصة ان يقف في أحد الابواب ليصغي الى أصوات في الداخل **أصوات اضراب تمرّد سجناء حفلة غرفة تعذيب غارة على مبغى** لم يستطع ان يقرّر. أخذ يقرع فازداد اللغط في الداخل. وأخذت أحذية ضخمة تطالب الباب بالانفتاح لكنه قرع بكلّ قواه وأخذ يصيح. أخذ آخرون يصيحون من الداخل

أخذ رجل ذو حنجرة قويَة يقول شيئاً بصوت أجشّ. سمع امرأة تنتحب بضعف. ثم قالوا له من الداخل ان هناك امرأة عارية وأخذوا يغرونه وهو يقرع بثبات جوابه الوحيد الذي لم يكونوا يفهمونه، ثم أخبروه بطريقة سهلة لفتح الباب لكنه لم يفهم بدوره لأنه لم يكن يملك مفتاحاً. وأخذ يقرع. من الداخل والخارج كان الضجيح والدويّ يتّصلان في انفجار صوتيّ غليظ يهزّ الباب.

من الداخل والخارج كان الدويّ يهزّ الباب واختلط عليه الأمر فلم يعرف ما اذا كان هو الذي يطرق من الداخل ليفتحوا له ام أنّه جاء من الخارج ووقف وما زال واقفاً في الخارج وهم يطالبونه من داخل المبنى بأن يفتح الباب من الخارج / ليخرجوا.

(سان فرانسيسكو ١٩٧١ - ١٩٧٢)

حانة الكلب

إذا كنتَ نائماً في مركبِ نوح وأنتَ سكران
ما همَّكَ لو جاء الطوفان

رومي

لا أخفي عليكم أنني أنا أيضاً
أفكّرُ أحياناً بماهيَة الشعر بخطورة القضيَة
بنوعٍ من التوبة كما هي حالُ الجميع وفقر العصافير
الأسطوريّ وفي أغلب الأحيان
وأنا نائمٌ أحلمُ أنني أتعثّر برجلٍ نائم تحت جبلٍ
وأركلهُ لأوقظه برفقٍ أولاً ثم بتهوّرٍ وصراخ حتى يستيقظَ،
ويوقظني
وأحياناً يكون الفرق الوحيد بين الحياة والنوم
هو هذه العلاقة الزجاجيَة بين المصادفة والقصد
بين أن تستيقظ بنفسك، أو أن توقَظ، بواسطة حذاء
حتى إذا لم يكن هناك جبلٌ حتى إذا لم يكن هناك!

ذات فجرٍ يقعُ المحذورُ برمتَه ودونَ مصالحةٍ

كما يقولُ صديقي
الذي كتب أطروحةً عن صمتِ أبي الهول
لنيلِ شاهدة الدكتوراه باليانصيب
ذات فجرٍ يقعُ المحذور ينتقلُ فيه نبعُ القرية
من وراء السياج إلى فم رجلٍ نائم يرصَعهُ الظمأ
يحلمُ أن فرقةً مدربّةً من الأعداء
تُهيلُ الصحراءَ بالرفش وطولَ الليل
في قصبته الهوائية، دون كلل، ذاتَ فجرٍ
عندما يقعُ المحذورُ ويُحظر التجوّلُ ويُفشَى السرَ
تحت شبكة الأحكام العرفيّة غيمةً واطئةً
تركبُ أبخرةَ النهر
تتلصّص على النائمين في ضفّتيه
بثقوبها المطَريّة الأثني عشرة، أو ربّما
كنتُ أؤمنُ ببساطة، أن هذه التورية هي المسؤولة
ترفع بالسَّطلِ مخلوقاً أخضرَ كان ينام بانتظاري
في بئر السبعينات ومنذ الطفولة
أو ربما كنتُ أؤمنُ ببساط الريح
إيماناً أعمى لا يشفيني منه علماءُ الجاذبيّة حيث القصائد
لا تحتاج إلى مجذاف لتعبر بنا جميعاً إلى الضفة الثانية
وكلُّ كلمةٍ فيها، كوّةٌ سرية يتجسّس منها الماضي

على الأحياء.
في حالاتٍ كهذه عادةً
أحوم حولَ أسوار العالم حيث أسجّلُ في دفتري
مواقعَ الثغَرات بدقّة
وأضيفها إلى الخارطة بالمسامير
أفكر بجبران بن خليل يسير في نيويورك
بشَجاعة الحالمين،
بأبي فراس أسيراً في بلاد الروم
يخاطبُ (على بحر الطويل) الحمامة
وعندما أكاد أنسى العربيّةَ أُغمضُ عينيَ وأحلم
لأستحضر المعجمَ من الذاكرة في رأسي
مركبَ نوحٍ في بحرٍ متلاطمٍ من المخلوقات
تدوزنُ كلَّ سمكةٍ فيه حراشفَها وهي تسبح
في / على عتْبةِ / خارجَ نافذةٍ
مشرَعةٍ على مصراعيها
وسْطَ لساني
موسيقى رُبع اللحنِ
بيات أصفهان سيكا همايون
الشرقُ يدندنُ على العود في آبار الجهة الغربيّة
وعلى حين غرّة

وعنوةً
وبالكاد ولكن تماماً
كأنما في موسمٍ للرجْم بالحجارة
يصبُّ فيه الجميعُ سخطَهم على النوافذ
في قصور الذئاب المالكة
يظهر راويةٌ
ذئبٌ مهلهلُ الثياب
حادٍ يهلهلُ هامساً يهمهمُ بالهلاك
يروي عليَ كالسيل
ويلَ الشعر: رأس مشعَثٌ يثبُ من مناماتي
من قِراب ذاكرتي
من حجارة المعرّات حيث الشعراء يطالبون بأن يُسمَلوا
ليفتحوا حواراً مع رهين المحبسين
أو أقرب العميان يهمهمُ بالهمس يهلهلُ بالهلاك
كأنني فتحتُ حنفيةَ المحيط بمطرقة

يروي عليَ كالسيل ويلَ الشعر رعْشَ الليل
وقيلَ إنَ شاعراً جابَ ممالكَ مؤرقةً
تحكمها بمشاعلَ من ذهبٍ
خالصٍ رعشةٌ وحيدة

تحاول الفرارَ من ثَغْرةٍ في رسغه
كان يجلس في الإيوان المهيّأ لذوي المظالم البعيدة
كان يجلسُ في الديوان المهيأ لرملٍ لا يعرف مستقراً
ينتظر قافلةً منسيّةً في بئر الآلاف
بيدين ضارعتين
ديباجاً ترفوهُ يداهُ اللتان تتجاهلُ إحداهما الأخرى
وحبراً وفيراً يسيلُ على حين بغتة
إلى وريد البائيَة الأبهر من قبر الحائيّة الكبرى
من يديّ الأعمى الذي نظر إلى أدبي
بعينه الثالثة وبكى

كان رحمَهُ اللّهُ يصبُّ العُزلةَ في إناءٍ من الفضّة
كلَّ مساءٍ أو نحوَهُ و ما إن يشرفَ الغروبُ
على الهروب وإذ يرفعه إلى شفتيه
(أي الإناء لا المساء) كانت
واللّهُ أعلم
(هنا قد يهزّ الراويةُ كتفيه
أو يقهقهُ بجنونٍ أو ربّما يجهش بالبكاء)
أفعى رقشاءُ مكحولةُ العينين بتوابع الزوابع الرماديّة تصعدُ
بدلالٍ

وغنَجٍ من باطن الإناء
وتقصدُ الراحةَ
في حاجبيه الكثيّين = رأسٌ
يثبُ فجأةً من خندق فمي
حين أفتحُ شفتيَ من الظمأ
يتسلّق أسناني
أكياساً من الرمل
هاجماً إلى الأمام
شَعره مشعّثٌ ولكن
في فمه كالإعجاز
تتذأبَنُ الحمامة
يهدلُ الذئب
يذكّرني
بالحروب بالخصارات
وأحياناً بحزنٍ
ينصبُ
منجنيقات الضوء الصدئة
حول قلعة أوهامي التي نهضت
وتركت مكانها على التلّة
ذات ليلة

ذئبي
الذي يهدلُ بين الخمائل بعذوبة، حمامتي
التي تصيدُ الحملان لتذكّرني
بالطُرقِ الطويلة التي قطعتها
لتصل
وتنقذني بوصولها
من التبوّل في فوانيس القطارات
ومضاجعة التلال المجنزرة بأفخاذ العذارى.
ثمّ نامت الصحراءُ، واستراح التراب.

وجدتُ نفسي نائماً
في حانة السلحفاة والأرنب
في حانة الكلب والثعلب ورجل الأعمال
في حانة الخلد والفراشة والعظاءة والقرد
بجانبي مقامرٌ نائمٌ
تتدلّى ذراعه من الكرسي
وفي يده ملكةٌ دينارِيّةٌ وجوكر.
أطبّاءٌ ملتحون، حلاّقون وعارضات أزياء
أساتذة وتجّار ماشية وتجار أسلحة ومهندسون
يدلّلهمُ الحاكم والنائب واللّه

وتحرسهم الدولة بالمدافع
بحياة آلاف الشعراء والعاطلين اذا اقتضى الأمر
يتقاضون أجوراً عالية لن أطالها حتى
في أكثر أحلامي تفاؤلاً
في عطلةٍ رخيّةٍ على المحيط الهادي تحت القمر الغربي
الذي يحمل كتاباتٍ بالانكليزية وبالروسية
في جانبه المظلم، لافتاتٍ
في "بحر الهدوء" تعلن مالكيه

وجدتُ نفسي نائماً في الجانب المظلم من العالم
أنقّبُ كلَّ صباحٍ في مكتبة الآلام العامّة عن جذرٍ
يربطني بك، أنتَ، دائماً وحتى
أنني أتردد في أن أسميّك لأنّك، لستَ امرأةً
أو الأرض أو الثورة! شجرةً فقيراً حذاءً في الطوفان
لا أسميّ أحداً بالضبط لكنني
أريدكَ أن تشعر بخطورة القضية! لكننا نبدأُ عادةً
بالبداية أي الخروج بكل ما نملكهُ من الصدق
نحو الفريسة
التي ستقودنا الى قلب المعنى
لأن المعنى دائماً هناك يدخنّ صابراً في نهاية القصيدة

منتظراً وصولك وهو يبتسم باحتقار وأنت
تلهث أو تبكي أو تصل بقدمٍ واحدة
أو مشلولاً من النصف أو ميتاً من التعب
يطاردك الدائنون بهراوات القانون أو في نقّالة المرضى
أردتَ أن تكون هذه قصيدةً
تجرّبُ فيها أن تهاجم نفسك بالقلم بالجوع والمشاعل والحجارة؟
ليصبَ بعضُ الدم في حضن القاريء؟
لكنني ويجب أن تصدّقني (أعلم انك ستصدّقني!)
أؤمنُ بأنها ضرورية إيماناً غريباً يفاجئني
لأنني لست واثقاً من نفسي حين أقول هذا!

لذلك أخرج لأشتري علبة سجائر
في أعماق الليل وأزور صديقي
لنناقشَ الشعر ونقذفَ المسبّات في وجه الغرب
حيث نعيش كلانا مؤقّتاً بالدَيْن
وبنوع من الشعور العميق بالعمى
والتبوّل بإسهاب على تابوت الرأسمالية الباهظ التكاليف
كأننا شربنا برميلاً كاملاً من البيرة الرخيصة.

أطرقُ على الباب
ثم أطرق على الباب ثم أصيح ولك قوّاد! لك أخي
افتح يا هذا
وأسمع حركةً متراجعة كالريش نحو الأعماق
ثم صوتاً بانكليزية زنجيّة تشوبها لكنةٌ فلسطينية لا تُخطأ
ولّوا يا أولاد القحبة
ماذا تريدون
لن أعترف لكم لن أعترف ك، سَ ، م، ح ، (غمغمة غير مفهومة بأيّة لغة / / / (ضحكات يائسة بالعربية)

في الصباح أذهب إلى فلمور وهو حيّ الزنوج
في سان فرنسيسكو على طريقة هارلم في نيويورك
لأزورَ صديقي الفلسطيني
في دكّانه المسيَّج بالقضبان (جميعُ الدكاكين في أحياء الفقَراء بأمريكا
مسيّجة بالقضبان) صباح الخير
كيف الصحّة أبو الشباب؟ وكأنّه يقذفُ باتّجاهي
قرحةً مزمنة:
بلاد العرصات
بدّك تشنق حالك، مش هيك؟

بيخلّوك تروح تستأجر شجرة! وإلا عمود تلغراف؟
كيف حال الشعر هذي الأيّام؟

لعلّك أدركتَ قصدي، من الواضح كما ترى
أنني أهدف الى شيء غامض قليلاً
لأنه لم يكتمل بعد وأقول هذا بمنتهى البساطة
أيّها الصديق لا أريدكَ أن تسيء فهمي
هذه كلمات بسيطة مكتوبة بالعربيّة بالمناسبة
أذكر هذا لكي لا تتّهمني بأنني تأثرت في كتابتها
بشاعر "عالمي!"
أيُّ شاعر يخاطر بالكتابة على هذا النحو
لن يكونَ حتّى محلياً! وسيقضي سنواته الباقية
بعيني نسرٍ محموم أو رجلٍ ينتظر زيارة صاحب البيت
الشهرية وهذا يعرف جيداً أنّ الرجل الفقير لا يستطيع
أن يدفع الإيجار
لكنّه مع ذلك وللتسلية، أو إشباعاً لنزعة غريبة في
الإرهاب، أو ربما لأنّ الكلب
يعرفُ أن شرطة العالم والتاريخ كلّها تقف من ورائه
يقرع الباب بحذائه، وخصوصاً بالكعب
المليء بالمسامير. . .

سيقضي سنواته الباقية إذن بانتظار الجلاّد
الذي سيأتي متنكّراً ببدلة ممرّض رسميّ طيّب القلب
يخفي وراء ظهره سلسلةً حديديّة وسترةً للمجانين.

ابتسامتُهُ الكاذبة ستملأُ الأرضَ بموضوعِ هذه القصيدة.

(سان فرانسيسكو ١٩٧٥)

هنا ينتهي العالم المعروف

(١٩٧٩-١٩٨٢)

بقيت هذه الطريق وحدها أمامي. إنها غابةٌ أو حكاية،
المناطيد تحطّ على السقوف، والقرية تنقلُ تحت جنح
الليل، في عربات الطاعون موتاها، الاسكافيّ يغطّ في النوم،
الأقزام يصنعون له الأحذية. تنهض الصحراءُ بطولها في
منامي، منقوشةً بأخطار وأمثال.
الرسالة نصفان، كلٌّ في طريق هي ليست الأخرى.
واحدهما يختفي، كالنسناس، في مملكة النبات في رأسي،
والآخر ينتظرني كالحارس أمام بابي.
وهناك، في مقهى الليل الذي يحبلُ بأسنانٍ مهشّمة يخفيها
المهاجرون في أردانهم، بقطرة الحبر التي تسافر ضدّ الأوامر
من بؤبؤ الى آخر وفيها الرسالة؛
هناك يدعني أعرف السرّ: الكأسُ فارغةٌ تصلّي على المائدة.
العيون شاخصةٌ الى البعيد،
بيللي هوليداي تغنّي من قاع عذابها الأسود:
صرتُ لك عبدة . . ..I slaved for you
والأرضُ تطفو بين الكواكب.

اذا وضعتَ هذه الراحة على الراحة الثانية
ونظرت نحو الأفق بكآبة لن ترى الا البذرة التي تطوف!

سترى واحةً نخيلُها أمٌّ بالعناقيد
إذا هربتَ مع الهاربين، ورأيتَ الأسوارَ من الخارج..

في أكثر من محجَة عارية، في أكثر من سراي
حيث يُقتلُ الزمانُ فوراً كالكلب
بعبوةٍ بين العينين
على حافة بئرٍ
عويلُها
سبعُ عواصفَ
تتململُ في بؤرة الضَيْم!

سترى. سيرثيك حجرٌ، ستأويك زنزانة
إذا حلمتَ أحلامك في العراء،
وأتيت..

امرأة من قبيلة الرخّ

تُطلقني بقبلاتها في العالم أحياناً
امرأة مليئةٌ بأفخاخٍ يرتجفُ فيها الفجرُ لأنه الفريسة
التي لا تعرف مهرباً

(– رأيناها
تجذّف في نهر الأقدمين العميق بساقيها
والشرق يصلُ بها الى المصبّ
حيث انتظرناها بشعرنا الأبيض

– كانت فانوس المنجّم
تلصقُ فيه الأحلامُ كالفراشات
مجرّةٌ في مهبلها انفرطت وتاهتْ

– عدِّدْ صفاتها الأوليّة
صِفْ تفّاحةَ آدم

– تفضّلُ الحب
مجرّداً من ألقابه، تريد القلب
مخدّةً حيّة لوجنتها اليتيمة)

وأنا الهارب من بيتٍ الى بيتٍ
أرجمُ أسوارها بوابلٍ من الأوهام لأراها عاريةً في حديقة الملك
ورسغها وحده يمارس الأشارة السريّة التي تأمرُ
أبواباً بعيدةً بالانفتاح.

من قرحةٍ في العانة
من قرحةٍ في الناي الذي يلفظ الرمل
والمغنّي تغادره الأغنية
في قطار الفجر. .

في محيط الحبر الصامت
تُرمى شبكة.
تتآخى السمكةُ والصنّارة.

في مركز القرحة أنصبُ فناراً
لأكتشف حركات الملاّحين وتوقيت الكواكب
تحت سيطرة ساحرٍ عارٍ: هنا ينتهي
العالم المعروف إذاً، وأتركُ أمتعتي على مفترق الطرقات
مفتوحةً كميراث العائلة المسافرة
بعد أن اختفى اللصوصُ بالجواهر في الغابة.

أنهض من نومي بكثيرٍ من الضجَة –
عواميدُ الملح تتساقط من حولي الى الوادي
و ببطء نوَاصة القافلة التي لا تذهبُ الى مكَان
أحاسبُ اليومَ سحرَ الأمس الرديء
بأوامرَ صارمةٍ من الغد.

أحببنا ما تفعله فينا
يا شرقَ الجهات لكنّ العاصفة
تهبّ في الخارج الآن والأسوار تنهار باختيارها
بين بقايا مأدبة مجهولة: يدٌ هنا، يدٌ هناك
تقاتلُ الكلابَ من أجل عظمة.

انت الآن ماسّةٌ بليدة نخدشُ بها زجاجَ الذاكرة
لتطفرَ باحشائك الراقصة على الموائد
في مآدبك الخياليّة
وما زلتَ تتبجّحُ كسلطانٍ بعددٍ لا يُحصى من الآبار!

لن تكون لأحدٍ سوانا أيها القدّيسُ المجرثَم بالمعجزات
ما من يومٍ ستكونُ فيه لسوانا..

القائد المهزوم والنملة

(تفسير للحكاية)

جاء مما وراء الألف
ونام تحت نخلة لأنه الظمآن!
العناصر بعيدةٌ
تحتفظ بالكأس في يد المسافات لمن يأتي
دائماً
على مرمى حجرٍ سحريَ على شرط ان يُرمى
بمقلاع القلب..

ممّا وراء قرى الحكمة
وقد سلّط عليها الظلام إحباطَه المشبوك

من هذه الرحم عندما تلفظُ وعودها
في أجسادِ مَن ينهضونَ، وأيقاظاً، ليمضوا
في موعدهم مع جدار..

ممّا وراء الألف لأنكم لا تعرفونني
أنا العنصر الذي أبكى
العنصرَ الذي يجهل أن مسيرتي
غضبٌ
لمنبعه السحيق كهوفٌ
أكثر عدداً
أكثف
من كهوف الدم حيث يستشري هذا الصوت

كلما تسلّق سلالمُهُ مصيري
مباعداً بيني وبين ما لن يمرّ بي إلا مرّةً، حيث أسيرُ:
رجلاي امتلأتا سيراً ورأيتُ
الى أين أسيرُ، على ضوء هذه القوافل..

في حديقة سعدي الشيرازي
(عندما كان أسيراً)

النهر يجري، والأدلاّء يختفون في الأحراش. أنا يومٌ واحدٌ يجرّ خلفه قيامةً من الأيّام. كتائبُ جريحة تشمُّ الهواءَ المحترق بالدم اليابس في الأنف. لأن مدينة الماء لم تعد بعيدة. انها هناك.

هناك بستان الورد، وكأسُ سُمّ ذهبيّة يحرسها ملاكٌ بيديه.

النهرُ يوميء لي من بعيد بعينين مغمضتين لمحظيّةٍ سكرانة. وهكذا حتّى يصل في حلمه المصبّ.

لكنّني بشفتيّ أتقرّى، أفضلَ من الأعمى، من الجدار الى الغصن، من القيد الى الآفاق، تلك الصيحةَ التي أضاءت بسيفها الممالك، هذه العلامة التي نزفتْ لها قيودي.

أعيشُ في قلب عاصفة
بإشارةٍ من أيّامي التي تحمل وثيقةً مزوّرةً في يد
وفي الأخرى مجذافٌ صالح لأيّ نهر
لأية لغة يشقى بها الواجب
وها هي عَظْمةُ القصيدة تتلألأُ قُربي
فتوقظ لساني من نومة الكهف.
لحظةٌ أعرفها.
ليلٌ مرَّ بمجلوديهِ على بابي
وأعرفهُ جيداً.
أيُّ صوتٍ خائن قد يمرّ.
وفي مستودعات الذاكرة، يهبُّ هباءً، كريشة.

مشهدٌ باتجاه واحد

بين القصبات المحطّمة طائرٌ أحمر
يجري أو يحلّق نحو نقطة مجهولة
شيء ملفوفٌ على بَكَرة
في يدي امرأةٍ تنامُ بين الأشجار
إنها تحلم
بعد أن طردوا من عينيها الشياطين
وفي المثلّث المضاء بين ساقيها المفتوحتين
الخيطُ، ثانيةً، يحاول أن يدخل ثقب الإبرة
والذكر عكّازٌ يطرح ظلّه عَبرَ صحراء.

مديح

سأمضي في مديحي
العالم معلّقٌ من شعره الطينيّ في أبراج القصائد
والشاعر محاصَرٌ يحرق وثائق الليلة الماضية بنظرة ختاميّة
لا تعرف الصُلح.

سأمضي في مديحي
حتى في الحدود الشعرية، التي لا يعرف أحدٌ ماهيَ.

النور يعيش في حالة إنذار، دائماً على استعداد.
خطابُ النور الذي يبكي في بذرة حنطةٍ، على الطريق المؤدية الى رغيف.
نورٌ ونيران. هرمٌ ضائع كان قبضة ساحرٍ مدفون في الصحراء.
أنا الذي نمتُ خلف نافذة، في قاع نهرٍ مليء بالبنادق القديمة، جماجمَ مليئة برمالٍ تهذي، برسائلَ ضدَّ العالم لم تُكتب، بخططٍ جريئة لم تُنفَّذ، أصغيتُ ذات ليلة، الى الأجداد اللاهثين بصعوبة يعبرون على خيولٍ نائمة يغطّيها الزَّبَد، نحو رائحة الفريسة التي تركبُ الريحَ حتّى آخر الآفاق.

نحو فانوس القرويّ ♞

الجائع المتأرجح على رأس القرية.
سمعتُ ملاعقهم الخشبيّة، مفاتيحَ بيوتٍ لن يدخلوها ثانيةً، معلّقةً في أحزمة الجلد ترنّ كالأجراس جنباً الى جنب مع الخناجر التي تحنّ الى ليل المعارك.

البريق والصوتُ معاً وفي لحظة واحدة.
العالم يعوي في انفجار منظم على مبعدة قدمٍ مني وتلمسني الرجّة آخذة جسدي الى النهاية الأخرى، الرجّة التي كانت تجعل يديّ ترتعشان وفي احداهما السيجارة، منطلقة من مكان ما في رأسي أو خلف عينيّ، وهادرة بقوة، لتتمركز في أصابعي. ضغطتُ على السيجارة حتى تقصفت وتفتّت الورق تاركاً التبغ يتساقط كالرمل على الأرض، والرأس المتكوّن من الرماد ما يزال يحتوي على الجمرة، يرسل الدخانَ الى أعلى حتى يصل عينيّ فيحرقهما. سقطت السيجارة وأحسستُ بقبضتي، بأصابعي التي كانت قد تشنّجت، على حين غرة، لتتّحد معاً وتنطلق حرّةً، تنقذف في الهواء وهدفها، كما اكتشفت، الوجه المقابل لوجهي وبالأخص، الأنف الذي كان زائداً يغري بالبتر، بالازالة. لكنني أصبت الفك من الأسفل وللحظة، إرتجّت العينان اللتان كانتا تسودان، مسيطرتين، على بقية الوجه وهما مركزتان بتحدّ أولاً، ثم بعنجهية مواربة ثم وأخيراً، بذعر

فطري واكتشاف متأخر للعداوة من جهتي – في عينيّ، وبالطبع في قبضتي بالذات والتي لم تترك للعينين، لفرط السرعة التي انطلقت بها، ان تأسراها. لم التفت الى غير الأنف، لكنني أصبت الفك الأسفل والتهبت أصابعي قليلاً وهي تعبر هيكل وجهه لتصبّ في الفراغ، بحركة بدا فجأة انها تتباطأ وجسدي كله يتبعها كأن نهاية الذراع المركّبة على شكل منجنيق مغلق، بسلاميّات صلدة تتآمر تحت الجلد – قد مغنطت فجأة هذه القلعة من الأعصاب والشرايين والأحشاء التي تحمل اسمي وأعيش لأبرّر وجودها وفي هذه اللحظة، اتبعها نحو اليسار، منحرفاً عن القلعة الآدمية الأخرى (عدوّي) التي جمدت مقابلي، بعنف، لأبرّر ما فعلته للتو مخلصاً لكل ما تأمر به. لذلك: هذا الانزياح نحو اليسار بالنسبة لقامة الرجل المنتصبة أمامي والتي بدأت تتزحزح متطوّحةً بعيداً عني بتأثير اللكمة، والانقذاف بعيداً بمسافة ثلاثة أو أربعة أقدام، حتى أتمالك توازني واقف لاهثاً وأنا أواجه عالم الشارع الذي فيه أنا والرجل، وظلّ آخر كان يقترب بسرعة ويبدو انه يحمل في يده هراوة بدأت تلمع في الرذاذ الخفيف الذي أخذ يتساقط من السماء.

رجلٌ سكران التقيتُ به في محطة بنزين
قريباً من «رينو» بصحراء «نيفادا»، ملتحٍ، عيناه زمرّدتان
من حديقة الشيطان، تحت قبعة الكاوبوي، يده مدفونة
في قفّاز ضخم لتدريب الصقور، قال لي انه قضى أعواماً
طويلة في تدريب صقْره على الصيد
لكنه فقد «حاسّة القتل»، كما أخبرني، كأنه يتكلّم عن
ملاكم، ولم يعد أكثر من دجاجة. «تطلّعْ، يا بُني»،
ثم أراني صقره الذي اكتهل في الأسْر، وأطلقهُ من الحلْقة
ليطير، وبيده الاخرى العارية، تناول بندقيّةً وصوّب بعين
واحدة.
ما كاد الصقر يحلّق حتى سقط الصقر في التراب، وحرّك
جناحَه الأيمن للمرّة الاخيرة
ناكشاً به الى الأعلى غيمةً صغيرة من الغبار،
كومةٌ من الريش، التقطها الرجل بحنان وأفرد جناحيها
بأصابعه ثمّ ألقى بها في صحن سيّارته البيك–أب، وانطلق
هادراً باتجاه الصحراء.

جاء ني في أصعب وقت
فرض حضوره الصاعق والنبيل على طاولات قديمة
كانت أرجلها تهتزّ كأرجل المرضى
حتى قبل أن تقترب العاصفة من جلد المدينة
بمسافة خمسين ميلاً، في مقهى يملأها تجّار سويسرا
رائحة الماشية المبتّلة (أرقام البورصة
تتساقطُ من جدران الجرائد على أحذيتي)
في بانهوف شتراسه (شارع المحطة) بزيوريخ
قصيراً كبرميل من البارود ينحدر على حصباء الليل
نحو أسوار القياصرة، وقاطعَ أضغاثَ الحلم التي كنت
أتخبّط فيها كفأر غريق
بلحيته المدبّبة التي طالما ثقبت صفحات التاريخ
وكانت تمخُر دخان التجارة القاتل كحيزوم سفينةٍ واثقة
الآن، قائلاً لي أن أهزّ أحزاني بقوّة
كتلك الأشجار التي تسلخُ شعرها بثباتٍ خارج المقهى
أراملَ في جنازةٍ غامضة، وأشار اليها بسبّابته وفيها خاتمٌ

طالما شخّص به الأموات
في توابيتهم السرّية.
لا تخشَ شيئاً، لا تستسلمْ، هؤلاء
لن يحكموا شيئاً في يوم سوى الضرب والقسمة
والأقزام لن يحرقوا وراءهم سوى جسور العودة. جئت من مسافة بعيدة
لأقول لكَ هذا، وأيضاً، لأُقاطع أحلامكَ الرخيصة؛
إذهبْ إلى المكتبة، إذهبْ اليها الآن...

* كان فلاديمير إيلليتش أوليانوف (لينين) يعمل نادلاً في مقهى فولتير ويقضي أوقات فراغه في مكتبة زيوريخ العامة عندما كان يعيش في سويسرا، قبل أن يعود من منفاه الى روسيا... و...

بمجرّد التحديق في السقف،
يمكنك ان ترى الكون
من مفكّرة ليوناردو دافنشي

أرقد على ظهري محاولاً ان أنام لكنني بدل ان انام احدّق
حتى الساعة الخامسة صباحاً في سقف
الغرفة: خرائط رمادية يتساقط منها الدمع، مشاةٌ يقتلعون
خطاهم بصعوبة
في خطوط الطول والعرض، شقوق مثل كهوف ألتاميرا،
أسواقٌ، نفق يهدر فيه قطار سريع
كحيوان يهرب من مروّضه منذ بداية الكون جاهلاً سبب
المطاردة:
في آخر عرباته أفتح بابَ المقصورة مستنداً الى مقبض الباب
بثقلي؛ المنعطف الذي يلي نهاية النفق يجبر القطار على أن
يقذف سكّانه النائمين بشدّة
خارج الايقاع المزدوج الذي سحرهم حتى الآن
كفوّهات البنادق في فرقة أعدام، ويجعلني كذلك
أنقذف عفوياً الى الامام، فاتحاً الباب الى داخل المقصورة

المضاءة بمصباح أزرق ضعيف لتشويش النظر، للايحاء بالليل لإغراق الوجه تحت سطح المرآة.

هالو!

أقول بلهجة عالمية.

أرجوك ان تخرج، اخرج أرجوك!

تهمس المرأة التي كنت انظر اليها باهتمام

كمجنون ينظر الى واجهة مطعم، رافعةً أحد فخذيها لتغطّي المثلثَ الأسود المعلّق بين ساقيها، دلتا سريّة للسفُن والتجارة.

ولكي اهديء أعصابها اخذت اتمتم في أذنها بأشياءَ عذبة، بقصيدة مضحكة

كأنها طفل يرفض ان يأكل، وأضفت: هذا العالم أيضاً ألف ليلة وليلة!

لكنّ ما فاجأني كان توتّراً خاصاً كالوتر المشدود من أمعاء قطة على ضلعين منخفضين، وحتى الانقطاع، بالقرب من القلب ينبعث من خيالاتي عن اليوم التالي، عن حقائبي

التي تربطني بفكرة الوصول الى مكانٍ لم أكن اريد الوصول اليه رغم انني في طريقي اليه، ورغم ان وصولي اليه في نفس الوقت يبدو الآن مستحيلاً كالعودة. وكذلك بالقطار.

وممّا قالته الآنسة في الأثناء، عرفتُ ان الرئيس بالذات كان

هو الذي
أوعز اليها، مع الاجراءات اللازمة، بأن...
أي انها كانت رسولته، المحظيّة Numero uno
لكنّني بضربة واحدة استعدت شجاعتي
وحملتها كمنطاد أبيض يفوح بعطر الادغال الخطرة
الى الخارج، الى خارج المقصورة، وكانت لا تزال تهمس
ولكن بعيداً عن أذني هذه المرة.
وفي المحطّة شبه عيد، مواكبُ عسكريّة تراوحُ في البرد
فرقة موسيقيّة واطفالٌ عددُ رمال الارض
رجال ملتحون وآخرون يحملون أسرّة، وسلالم وصناديق،
مرايا وبنادق
مدافع هاون، قناني شراب
صحتُ، أعطونا ملاءةً يا اخوان!
اعطونا غطاءً لهذه الليلة
والرئيس وحده هو الذي، وبالاجراءات اللازمة...
بطانيّة سميكة من الصوف. تلفعنا بها.
ضاجعتها حتى اختفى القطارُ والعالم متعانقين.

الليلُ يقترب
المرأة المسمّاة ديانا
بنيفيدس من نيكاراغوا تهربُ في غابةٍ
من الرصاصات نحو حياتي:
تنزلق من بين أيدينا حفنةٌ من الرمل
يضطربُ المرجان في سرّة المرأة.
بيتُنا الرغبة. بيتنا على النهر
أو بين ذراعيها، مضاءً
بثدييها النافرين.

الليل يقتربُ والنسرُ يدرّبُ جناحيه على الهوّة

قلب
صورة تمثّل قلباً
يستظهرُ يحفظُ عن ظهر قلب
يسحقُ قلبَ فلانة

حزنٌ غمٌ أسىً ساحقٌ للقلب
ساعةٌ مسافرة من قلبي الى رسغي
لحظة من النشوة
تُنتج يتيماً في شرق الزمن

وكبطن جارية كسولة تتلوّى لدى قدوم الملكِ
هذه الطريقُ التي نامَ سالكوها أو اختفوا.

صيحاتٌ مازالت تسحبُ وراءَها
أفواهاً هاذيةً بأنصافِ أناشيد.

تتلّوى كبطن جارية كسولة.
من مدّها أمام قدميه ولفّها بهذا الفضاء؟

ينصرف بكليّته الى
بشدّة
يهنُ عزمهُ. يستردّ شجاعتهُ
يعقدُ العزم على
يتوقُ توقاً شديداً الى
يفكّر جديّاً في

يتأثّر تأثراً عميقاً به
يُفضي بسريرة نفسه الى
يعمدُ الى الصراحة من غير
تحفّظ، واعياً بسحرْ المداهنة.

شيءٌ يذكّرُ بالعالم بين فخذي ديانا
حين يهلوسُ كصرعات ستارٍ
في نافذةٍ آخرِ بيتٍ يغيب.

كلّ شيء صفةٌ من صفاتهِ، ويُخفيه عنّي.

لذلك أجري بركبتين في كلّ منهما نرد لا يعرف الاستقرار
بين الليل وأيدي اللصوص الدربة.

البنك المجاور للفندق
أشهرَ إفلاسَهُ و «خوزيه»، اللصّ الصغير
ينامُ في النهار عند قدمي أُخته العاهرة
في الجانب الشرقيّ من «تخوانا»
البلدة المشهورة بالبغايا والقدّيسات
وبعض الطيور المتربة

هناك وجدتُ مصفاةً للانتحار
في عينيْ ديانا بنيفيدس التي كلّما تذكّرتُها
نسيتُ ماذا كنتُ أريد
أن أقول.

قصيدة تولد في ليل واشنطن

(مع ميرين غصين وكمال بلاّطة)

هل كانَ حتماً كلُّ هذا
هل فُرضت علينا هذه الليلة ايضاً
بمخدّتها الحجريّة ومركبها الذي يختار راكبه الواحد
حتى مصّب القدْرة والموت؟
لم يكن المفروض إدانةُ هذا الصمت
بعنقود من الذكرى كعاصفة تأتي من بعيد للإعتراف
ولا إدانةُ شبرٍ واحد، قصبةٍ واحدة
لكنّ المحكمة ترفض أن تنفضّ والشاهد مقيّدٌ
الى قطرة الدم الأولى، فلا ذلك الخطّ الجميل من السقوف
يطوي نفسَهُ أخيراً كشفرة تعبت من تجريح الهواء
ولا هذا الدخان ينسى نارَهُ في خندق الذاكرة.
هناك حتماً سقفٌ مائلٌ يدعو المسافرَ
كالكفّ الى العودة، هناك الديك
الذي يحمل عُرفَهُ على سقفٍ هارب في بيروت
كجمرة النبوءة واللّه مازال يعيش تحت مظلة الحرب

حيث يلعب الأطفال في الغبار
والبريق الأبيض للساعة الثالثة، تناديهم أمّهاتٌ على عتَبات
أبْلتها أحذيةُ القروييّن الكبيرة، لمعّتها خطوةُ الضيف،
تعالوا أيها الأطفال، عودوا إلينا. . .
ما لون النجمة التي لا تعرف كيف تغيب
لماذا لا تسقط خطانا على حتفها هذه المرّة
وماذا أفعلُ الليلة في مطعم «إل كاريبه»،
في «كافيه دوباري»
هنا حيث القشّةُ تسمحُ أحياناً
ان يركبها الغرقى.

(واشنطن ٧/٧/١٩٨١)

هنا ينتهي العالم المعروف

هنا ينتهي العالمُ المعروف، أنا أيضاً
جئتُ من مناجم الملْح، تركتِ الأسنانُ علاماتها
الفارقةَ في عظامي، حيث يتساقطُ الكلْس عَبْر العصور.
تعلّمتُ كيف أحتفظُ بحرارة سرٍّ انسانيٍّ صغير عميقاً في جيوبي
بقبضتيَّ المتشنجتين، كأنّما على نقودٍ نادرة
لن أشتري بها شيئاً في دكّان الأرض، بينما الفئرانُ تلعقُ أسرارها
على موائد التاريخ الطافية وحدها
كأرخبيلٍ من الجُزر تحكمه أسنانُ شوكة.
هذه الحياةُ عندما أيقظتني بزئيرها المنتحبِ، نسيتُ
الى الأبدِ كيف أعودُ الى النومِ.
يسحقُ الجبلانِ، أخيراً، بعضهما.
الليالي مثقوبةٌ بالطلقات الطائشة، قُبلتكِ نوعٌ
من التطْواف.
وحيث تحلّقُ الغربانُ، بهذا البطء الستراتيجيّ، لابدّ

أن تكونَ هناكَ بقايا معركةٍ خاسرة.
كلُّ خروفٍ يتيهُ عن القطيعِ، ينقلب ذئباً.
القاربُ انسلّ خفيّةً
وأخذ يجذّفُ نفسه عَبْر النهْر.
وبينما ترقدُ في سريرك، يركضُ نعلاكَ وحدَهُما في طُرق الوطن.
وداعاً أيّها الألفُ: تتلعثمُ أسلاكُ اللغةِ، والخطى
تتفرّقُ، دجاجاتٍ مذعورةً أمامَ دبّابة
تحرثُ قريةً هي مركزُ الرحلة.
يُحْملُ الصباحُ الى أبواب القرية على محفّةٍ
من عظام محظيّاتك، وهذا هو مركز الرحلة.
إذا أردتَ أن تصيدَ
سيحضرُ العصفور!
جميعُ النوافذُ مشْرعةٌ باتّجاه الريح
كلُّ جملةٍ تأتي وهي تنوءُ بحمْلها، قافلةً
من الجِمالِ تحملُ عروساً الى خليفة.
عليك أن تخطو اذاً
كمن يُصوِّبُ مسدّسَهُ بعناية لأنه لا يملكُ إلاّ طلقةً واحدة.

لكل من سمع الأغنية، نائيةً
لكن غيرَ خافتة، خاملةً، لكن خمولَ شعلة
يجدلها في نومه حتى اذا كانت المحطاتُ باردةً، متباعدة
والنيرانُ قليلة
تبدأُ من فوران الرقصة كلّما أينعت في أرجل العشاق،
أينما شكّت أوتادها –
لكلّ من سمعها، لكل من تاقَ الى سماعها أقولُ أن
السيولة
صفةٌ من صفات اليقين والمحطّاتُ تتوالى حتى اذا توقّفَ
القطار. .
الاتّجاهاتُ تشابكت
والرياح
نسيت ان تفرّقها، سجّانك مخمورٌ في حديقته
والليل من خلفكَ يميلُ موزّعاً أنجمَهُ كأحرفٍ في كتاب.

ملاحظات على القصائد

كتبتُ هذه القصائد في السنوات الأولى من حياتي في اميركا أي خلال الفترة الممتدة من ١٩٦٩ الى ١٩٨٢ وهي بهذا تتقاطع وتتزامن مع كثير من القصائد التي ظهرت في كتابي الأول «الوصول الى مدينة أين» الصادر سنة ١٩٨٥ في أثينا حيث كنتُ أقيم وأعمل منذ ١٩٨٣. فهي نتاج مرحلة واحدة تقريباً بدت لي فيها جميع منافذ الكتابة بالعربية، لأول وهلة، مسدودة في وجه التجربة الجديدة التي كانت تكتسحني آنذاك والتي توقفتُ عن الكتابة، زمناً، لأنغمر فيها بكامل جسدي ومخيلتي وأمضي بها الى النهاية. ولم تكن لديّ في هذه الأثناء أية رغبة محددة (أو بالأحرى، همّة مناسبة) للتواصل مع عالم النشر أو التركيبة الثقافية العربية باكملها التي كنت أراها، آنذاك، بعين أودن الساخرة عندما قال في قصيدة له: «يتكلّمون عن فنّ الملاحة، بينما تغرق السفن». وكان من الممكن ان يستمر كل هذا لولا أنني تلقيت فجأة، كأنما من زرقة المجهول، رسالة جميلة من أدونيس (تبعتها رسائل أخرى فيما بعد) بيد سيّدة زارته في بيروت سنة ١٩٧٢ ومن جميل الصدف أنها كانت تعيش في سان فرانسيسكو، بحثت عن عنواني الى أن وجدته ذات يوم. وهكذا بعثت الى أدونيس بتلك القصائد، التي بدأت تظهر تباعاً في مجلته «مواقف» وفي مجلات وصحف عربية أخرى.

قلت انني توقفت عن الكتابة زمناً، لعامين أو أكثر، من ٧٣ الى ٧٥ على الأرجح، سافرت فيهما الى أميركا اللاتينية وأوروبا، عشت بضع

مغامرات، وزاولت مهناً عديدة. قطيعة شبه كاملة مازال صدى وقعها يرنّ في أذني كقافية صارمة مع كل ما كنتُ أعرفه من شعر مكتوب بالعربية، في الحاضر أو الماضي، ومن ضمنه كلّ ما نشرته أنا قبل ذلك ولم أجمعه الى اليوم في كتاب. وحاولت، عندما عدت الى الكتابة ثانية، أن أعبّر عن ذلك في قصيدة طويلة نسبياً عنوانها «حانة الكلب». كان هذا العنوان قد خطر لي ذات يوم وأنا أسوق سيارتي في شارع «إل كامينو ريال» El Camino Real (أي الطريق الملوكية) وهو أطول شارع في ولاية كاليفورنيا يمتد من سان فرانسيسكو الى لوس أنجيلس، ويرمز الى الطريق التي سلكها كهنة المكسيك الى أديرتهم المقدسة في كاليفورنيا (التي كانت تسمّى كالافيا وتعتبر جزءاً من المكسيك) وهم ينثرون بذور الذرة أينما خيّموا، أو شيء من هذا القبيل لم يكن ذا مغزى جليل بالنسبة الي في حالتي تلك لولا انني لاحظت في الطريق، بالصدفة، يافطة على باب بار استرعت انتباهي للحال لفرط غرابتها وتوقفت عندها كأنني وجدتُ سرّ أميركا أخيراً: «حانة الكلب». حرفياً، حانة الكلب على طريق الملوك. والملوك هنا، طبعاً، يُقصد بهم ملوك الروح ممّا يزيد طين المعنى بلّةً، ذلك المعنى الجديد المتأرجح بين الكلبيّة والقداسة، بين حضارتين متضاربتين، عالمين بينهما فروقات شنيعة كتلك التي بين أميركا الشمالية والجنوبية، أو بين الغرب والشرق. هكذا عدت الى الكتابة ثانية، وكانت «حانة الكلب».

واذا كنت اخترت للكتاب عنواناً مستوحى من رومي، فانما لأنني، في هذه الفترة بالذات وانا اقرأة بالانكليزية – بُعد آخر للتغريب – في ترجمات آربري وإدريس شاه خصوصاً في كتابه «طريق الصوفي»، كنتُ معجباً لا بصوفيته التي لم تكن تهمني في نهاية الأمر لمجرد كونها

صوفية حسب، بل بطريقة قوله للأشياء: تغريب العاديّ، المسلّم به، المؤسس على الثقة وخاصة رموزه المستقاة من التراث الديني، عن طريق قذفه في فضاء الحكمة الانتشائية، التي لا يهمها، بالنتيجة، الصواب المنطقي لما يقال بقدر ما يهمها توظيفه في مجال الوثبة الشعرية (بالنسبة الي) الروحية (بالنسبة الى رومي) التي تريد ان تعبر بالقول الى الجهة الثانية من الكلام. واذكر هنا ان يوسف الخال، في بيروت، فاجاني ذات مرة وجعلني أصحو قليلاً كأنما من إغفاءة قلقة في مركب سكران، عندما وبخّني بشدّة على قصيدة نشرتها آنذاك (ربما في ١٩٦٨ في مجلة «الجامعة» البيروتية) تحت عنوان «سكين الحلاج» بأن سخر صراحةً من محاولتي الكتابة عن مواضيع صوفية ونصحني أن أترك ذلك لأصحابه وأن أمضي في طريقي الخاص وأكتب عن عالمي أنا، وبلهجة لبنانية قاطعة في حكمتها التعبيرية لم أنسها الى الآن: «شو بدّك بهيدي القصّة!»

كان كل من يوسف الخال وأدونيس بالنسبة الي شعرياً وانسانياً، قدوة نادرة وضوءاً كنت وما زلت أهتدي به وأعتبر نفسي محظوظاً بل أحصي بركاتي لأنني التقيت بهما في تلك الفترة الحرجة من حياتي فأنا أعرف الآن، كم حاسمةً يمكن ان تكون لقاءات كهذه، بالنسبة لأيّ شاعر في بداية حياته الشعّرية، وما إهدائي هذه القصائد اليهما سوى بادرة امتنان متواضعة، متأخرة أرجو ان تفي بقسط صغير من دين كبير.

كان حلمي المثالي أن أجمع هذه القصائد مع تلك التي ظهرت في كتابي الأول بحيث تؤلف معاً مجموعة واحدة تمثل تجربتي الشعرية بكل زخمها وأبعادها مذ غادرت بيروت الى نيويورك في آب ١٩٦٩. لكنه بقي مجرد حلم وكلما أردت العودة الى تمشيط دفاتري

وأوراقي لاختيار ما لم ينشر، وجمع ما نُشر، وجدتني أفضّل التركيز على نشر الجديد من شعري، وهكذا من كتاب الى آخر حتى كان أكثر من ربع قرن قد انقضى على كتابة بعض هذه القصائد وطيلة هذه الفترة ظلّ هذا الهاجس كامناً ينتظر، ويلحّ علي بين حين وآخر، في تقلبات الحياة وهديرها، كصخرة تعترض التيّار. ومنذ بضع سنوات بدأ صديق لي يجمع ما نُشر من هذه النصوص ويطبعها من جديد مع النصوص الأخرى غير المنشورة، ولا يترك فرصة تفوت دون ان يحرّضني على وضع اللمسات الأخيرة، إن كان هناك شيء اسمه اللمسات الأخيرة، على الكتاب. هذا الصديق هو الشاعر خالد المعالي الذي لولا اختراقاته المتكررة لستائر مماطلتي الكثيفة لما ظهر هذا الكتاب الى الوجود بشكله الحالي، ولربّما ظلّت مخلوقاته نائمة في مركب نوح الى أجل آخر، غير مسمّى.

س.ب

شوبنغن - ألمانيا

أوكتوبر ١٩٩٧

ظهرت معظم هذه القصائد في المجلات والصحف التالية:

مواقف (بيروت) : دليل الى مدينة محاصرة، إرشا (في الطريق الى الجمرة) دات، حانة الكلب، مسافرون الى اللحظة التالية، أودية الرسالة، أوامر من الغد، هنا ينتهي العالم المعروف.

تحولات (بيروت) : بقيت هذه الطريق، في حديقة سعدي الشيرازي، ريشة، حالة إنذار، في وسط الولادة.

النهار (بيروت) : المحظية، الرغبة والموت في مدينة مكسيكية صغيرة، يخرج القاتل، اكتشافات ومعجزات (تحت عنوان «الحظ في قلعته الصغيرة») .

الثقافة الجديدة (الدار البيضاء) : قارب الى ألكتراز، إعدام صقر (ظهرت أيضاً في «**اليوم السابع**» ، باريس) .

السفير (بيروت) : رسالة.

كلمات (المنامة، البحرين) : إيفان ايلليتش في زيوريخ.

فراديس (كولونيا) : اللكمة.

النقطة (باريس) : مشهد باتجاه واحد (على شكل بطاقة معايدة) .

وظهرت «قصيدة تولد في ليل واشنطن» بخط اليد وبالأصل العربي، في مجموعة للشاعر مترجمة الى الانكليزية حرّرتها وقدمت لها ميرين غصين تحت عنوان Arrival in Where-City صدرت في واشنطن سنة ١٩٨١.

المحتويات

أودية الرسالة ٧

رسالة ٩

صندوق، عروس، في الفجر، الى ميناء ١١

أخطار وأبعاد ١٣

الذاهب الى المكان ١٥

قارب الى ألكتزار ١٦

في وسط الولادة ٢٠

يخرج القاتل ٢٢

الرجل الجائع ٢٤

توفيق صايغ والسيف والصارية ٢٥

اكتشافات ومعجزات ٢٦

أودية الرسالة ٢٨

إرشا (في الطريق الى الجمرة) دات ٣٣

مسافرون الى اللحظة التالية ٦٣

دليل الى مدينة محاصرة ٧١

حانة الكلب ١٠٣

هنا ينتهي العالم المعروف ١٧٧
بقيت هذه الطريق ١١٩
الراحة على الراحة ١٢٠
امرأة من قبيلة الرخّ ١٢١
أوامر من الغد ١٢٣
شرقاً حتى الموت ١٢٥
القائد المهزوم والنملة ١٢٦
في حديقة سعدي الشيرازي ١٢٨
ريشة ١٢٩
مشهد باتجاه واحد ١٣٠
مديح ١٣١
حالة إنذار ١٣٢
اللكمة ١٣٣
اعدام صقر ١٣٥
فلاديمير إيلليش في زيوريخ ١٣٦
المحظيّة ١٣٨

الرغبة والموت في مدينة مكسيكية صغيرة ... ١٤١
قصيدة تولد في ليل واشنطن ١٤٥
هنا ينتهي العالم المعروف ١٤٧
كلّ من تاق ١٤٩

ملاحظات على القصائد ١٥١

كتبتُ هذه القصائد في السنوات الأولى من حياتي في اميركا. فهي نتاج مرحلة بدت لي فيها جميع منافذ الكتابة بالعربية مسدودة في وجه التجربة الجديدة التي كانت تكتسحني آنذاك والتي توقفتُ عن الكتابة، زمناً، لأنغمر فيها بكامل جسدي ومخيلتي وأمضي بها الى النهاية. وحاولت، عندما عدت الى الكتابة ثانية، أن أعبّر عن ذلك في قصيدة طويلة نسبياً عنوانها «حانة الكلب». كان هذا العنوان قد خطر لي ذات يوم وأنا أسوق سيارتي في شارع «إل كامينو ريال» ويرمز الى الطريق التي سلكها كهنة المكسيك الى أديرتهم المقدسة في كاليفورنيا أو شيء من هذا القبيل لم يكن ذا مغزى جليل بالنسبة إليّ في حالتي تلك لولا انني لاحظت في الطريق، بالصدفة، يافطة على باب بار استرعت انتباهي للحال لفرط غرابتها وتوقفت عندها كأنني وجدتُ سرّ أميركا أخيراً: «حانة الكلب». حانة الكلب على طريق الملوك. والملوك هنا، طبعاً، يُقصد بهم ملوك الروح ممّا يزيد طين المعنى بلّةً، ذلك المعنى الجديد المتأرجح بين الكلبيّة والقداسة، بين حضارتين متضاربتين، عالمين بينهما فروقات شنيعة كتلك التي بين أميركا الشمالية والجنوبية، أو بين الغرب والشرق.

سركون بولص

منشورات الجمل